الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي

(1789 – 1916م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ العالم المعاصر

إعداد الطالب(ة):

خديجة مشطة

تحت إشراف:

حسين محمد الشريف

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
صالح لميش	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
حسين محمد الشريف	أتاذ محاضر – ب–	مشرفا
نذير قوادرية	أستاذ مساعد – أ–	مناقشا

السنة الجامعية: 1436هـ/ 1437هـ - الموافق لـ 2015م/2016م

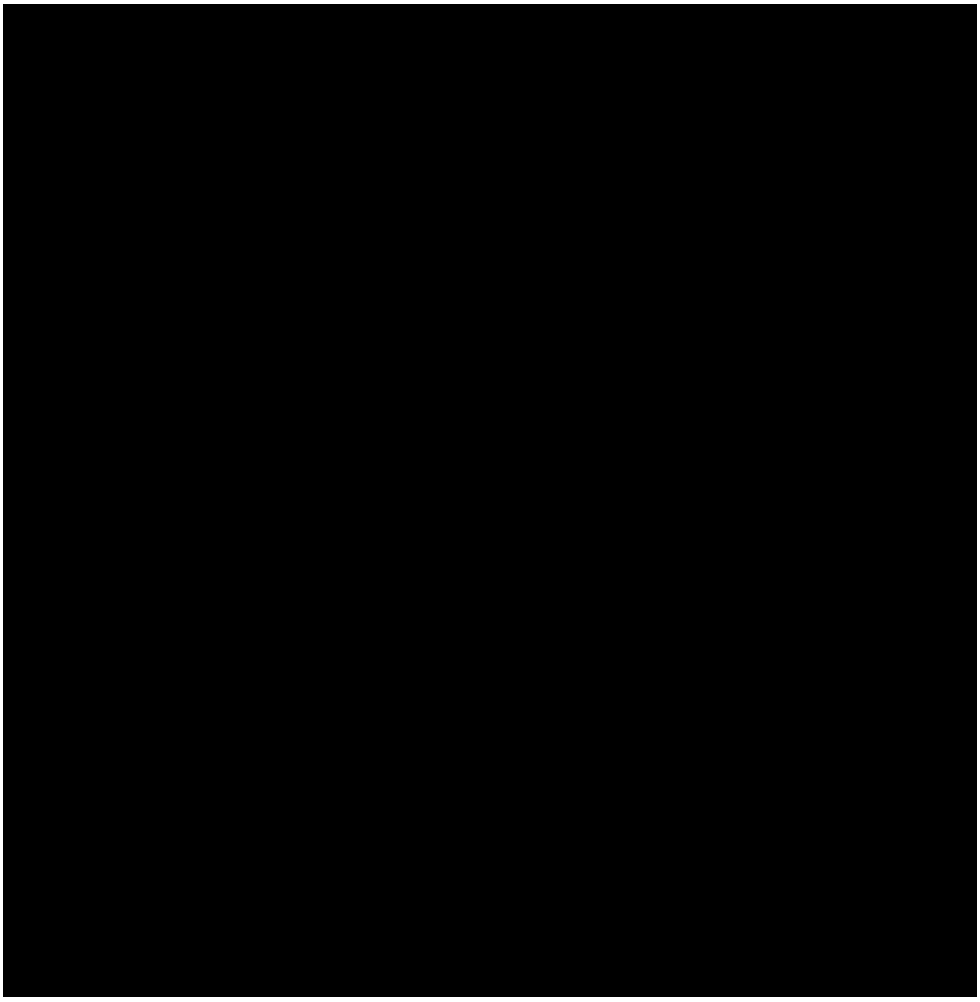

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل

إلى من بعثه الله رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور"محمد"عبد الله ورسوله.

إلى رمز الصبر والعطاء إلى من علمني حب العمل والاجتهاد

إلى من أحمل اسمه بكل فخر واعتزاز :أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وقال الله ورسوله فيها أن الجنة تحت قدميها :

أمي الحنون حفظها الله ورعاها

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة...إخوتي وأخواتي وإلى شموع العائلة أبناء إخوتي

إلى الأخت التي وهبتها الأيام لي :ابتسام

إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء ...صديقاتي

إلى كل الأهل والأقارب

...أهدي هذا العمل المتواضع

خديجة مشطة

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ""ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك "" ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله ﷻ إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة

ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صل الله عليه وسلم

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة

مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهود في بناء جيل الغد لبعث الأمة من جديد.

وقبل أن نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدم رسالة في الحياة إلى الذين

مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل.

واخص بالتقدير والشكر الأستاذ المشرف: محمد حسين الشريف الذي منحنا من وقته وأحاطنا بملاحظاته القيمة

و نقول له بشراك قول رسول الله صل الله عليه وسلم" **أن الحوت في البحر،والطير في السماء ليصلون على من علم الناس الخير** "،وكذلك نشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لنا يد العون ونخص بالذكر عمال مكتبة الجزيرة كما لا ننسى كل من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات كما نشكر كل أساتذة قسم التاريخ .

مقدمة

مقدمة

من الحقائق المسلم بها في التاريخ أن حضارة الشعوب الشرقية ولاسيما العربية الاسلامية كانت أعظم شأنا وأسمى مكانة مما كانت عليه الحضارة الغربية في القرون الوسطى ، وأن الحضارة العربية عاشت فترات ازدهار ورقي ،لكن وما أن فتح العثمانيون البلاد العربية في القرن الـ 16 م حتى شلت الحياة الفكرية والثقافية العربية ،ذلك أن العثمانيين اهتموا بتوسيع رقعتهم الجغرافية على حساب الاهتمام بالإصلاح والتطوير.

لكن في الطرف الآخر من العالم – أوروبا – حدث العكس ،فبعد أن كان الفكر الكنسي يهيمن على العقل والشعور الأوروبي ، قامت حركة إصلاح دينية في القرن الـ 16 م ، تمخض عنها إنشاء كنائس منفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية ، فتطورت الطباعة بعد أن زال احتكار الكنيسة لها ، وكان دورها مهما في نشر الثقافة ، وبعث التراث وما يتضمنه من أفكار قومية ، فأحيت بذلك اللغات المحلية القومية بعد أن كانت اللاتينية لغة الآداب والعلوم والسياسة ... كما ساهمت الثورة الصناعية التي ظهرت في انجلترا وانتشرت في باقي الدول الأوروبية في وفرة الانتاج وبناء المدارس وبالتالي انتشار الوعي وظهور المفكرين اللذين دعوا الى التغيير الشامل والتضامن بين أفراد الأمة الموحدة .

لكن الحدث المفصلي الذي عاشته أوروبا تمثل في الثورة الفرنسية التي حملت شعار "الحرية، الإخاء والمساواة فصارت" هذه المبادئ مصدر إلهام للأوروبيين فاستيقظ بذلك الحس القومي وانتشرت الافكار القومية في أواسط شعوب أوروبا .

كان هذا بالنسبة لأوروبا ، لكن الوضع في البلاد العربية ظل على حاله تقريبا الى غاية القرن 19 ميلادي أين ظهرت بوادر للفكرة القومية العربية ، فزعم البعض أن هذه القومية إنما أثارها التوجه الأوروبي للقومية.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع الرغبة في معرفة مدى تأثير الفكر القومي الأوروبي على عالمنا العربي ،وكذا البحث عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء ميلاد الحركة القومية العربية .

أهداف الدراسة :

الهدف من هذه الدراسة هو محاولة التعرف على مدى تأثر العالم العربي بالفكر القومي الذي ظهر في أوربا ،والكشف عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء ظهور الحركة القومية العربية الحديثة .

الإشكالية:

مما سبق ذكره أردنا أن تكون دراستنا المتمثلة في تأثير الفكر القومي الأوربي على العالم العربي تسير وفق الإشكالية التالية :ما مدى تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي؟ وهل يمكن اعتبار الحركة القومية التي ظهرت في البلاد العربية في النصف الثاني من القرن الـ19م نتاجا لمحاكاة الفكر القومي الذي ظهر قبله في أوروبا؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي من شأنها التعريف بملامح الموضوع ،وتتمثل في ما يلي:

- ماذا نعني بالقومية ؟
- وما هي الظروف والعوامل التي أفرزت الفكر القومي الأوربي ؟
- متى ظهرت الحركة القومية العربية الحديثة ؟
- ما هي الأسباب التي أدت بالعرب إلى النزوع إلى هذه الرابطة القومية ؟
- وكيف كانت الرحلة التي قطعتها القومية العربية في سبيل تحقيق آمال الشعوب العربية؟

- كيف وفد الفكر القومي الأوربي إلى عالمنا العربي ؟وكيف أثر عليه ؟
- ما هي نتائج هذا التأثير الأوربي على عالمنا العربي؟

منهج الدراسة :

تطلبت دراستنا لهذا الموضوع الاعتماد على المنهج التاريخي من خلال رجوعنا إلى البدايات الأولى لظهور الفكر القومي عند الأوربيين كما عند العرب .

كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تحليل بعض الأحداث بالاعتماد على المصادر من خلال ربط الحقائق بمسبباتها والتعرف على تطوراتها في محاولة لإعطاء تفسير منطقي للأحداث التي عاشها عالمنا العربي وقت ظهور الفكر القومي فيه.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وقد حاولنا الإجابة على هذه التساؤلات من خلال رسم المخطط التالي لبحثنا والذي تناولنا فيه :ميلاد الفكر القومي الأوروبي ،وفيه تحدثنا عن مفهوم القومية ،كما أننا تعرضنا إلى ميلاد الحركات القومية الأوروبية ،وفي هذا حاولنا إيجاز أسباب بروز الظاهرة القومية في أوروبا ومراحل ظهور القوميات فيها ،وعرضنا مختلف النظريات التي تميز كل قومية عن غيرها ، كان هذا في الفصل الأول من البحث ،أما في الفصل الثاني ،فقد قمنا بالبحث عن نشأة القومية العربية بداية بتحديد المعنى الدقيق لعبارة العالم العربي ،انتقالا إلى الظروف والعوامل التي أدت إلى ظهور يقظة عربية تدرجت في مراحلها من حركة ثقافية إلى حركة سياسية ،أدت إلى ميلاد القومية العربية التي تتبعنا مراحلها إلى غاية الحرب العالمية الأولى ،وفي الفصل الثالث عرضنا طرق انتقال الفكر القومي الأوروبي إلى العالم العربي وكيف أثر هذا الفكر على عالمنا العربي وخاصة على رواد الفكر القومي العربي.

المصادر والمراجع

خلال إعدادنا لهذه الدراسة اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع بهدف الإلمام بالموضوع نذكر منها:

كتاب "تاريخ الحركات القومية" «يقظة القوميات الأوروبية» لمؤلفه نور الدين حاطوم وكذا كتاب "تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة" لمؤلفه عبد العظيم رمضان اللذين أفاداني في التعرف على أهم المدارس التي أفرزت الفكر القومي الأوربي .

وكتاب "التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى" لعبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين وكذا كتاب "دراسات في المجتمع العربي" لمحسن شيشكلي اللذين أفاداني في معرفة مراحل نشأة القوميات الأوربية .

كما اعتمدنا على كتاب "يقظة العرب" «تاريخ حركة العرب القومية» لجورج أنطونيوس الذي مكنني من تتبع مسار الحركة القومية العربية من بوادر ظهورها إلى مراحلها وكذا التعرف على كيفية انتقال الفكر القومي الأوربي إلى عالمنا العربي "إلى بلاد الشام تحديدا ".

إضافة إلى كتاب "تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر " لشوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم" الذي مكنني من معرفة مراحل تطور الحركة القومية العربية

إضافة إلى اعتمادنا على كتاب "ما هي القومية" لساطع "الحصري" الذي تعرفت من خلاله على شرح مختلف النظريات التي تميز كل نموذج قومي أوربي عن غيره ،كما تعرفت من خلاله أيضا على أهم مقومات القومية العربية .

صعوبات البحث :

لا يوجد بحث يخلو من الصعوبات لكن لا شك في ارتباطها بذاتية الباحث وموضوع بحثه وخلال دراستي لموضوع تأثير الفكر القومي على العالم العربي واجهتني جملة من الصعوبات من بينها :

صعوبة الحصول على المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع وخاصة بالنسبة لتأثير الفكر القومي الأوربي على المغرب العربي وهذا نظرا للظروف التي كان يعيشها عالمنا العربي آنذاك حيث خضعت معظم أقطار المغرب العربي للاستعمار الأوربي في وقت وصول المؤثرات الغربية إلى المشرق العربي.

لقد كانت فترة الدراسة لهذا الموضوع قصيرة مما تعذر عليَّ التعمق في بحثي خاصة وأن مثل هذه المواضيع الفكرية تتطلب دراسة وتحليل عميق من أجل الوصول إلى الإجابة على التساؤلات المطروحة.

ومع ذلك فقد حاولنا تجاوز هاته الصعوبات من خلال توجيهات الأستاذ المشرف الدكتور محمد حسين شريف .

الفصل الأول

ميلاد الفكر القومي الأوروبي

أولا : مفهوم القومية

ثانيا :ميلاد القوميات الأوروبية

أولا : مفهوم القومية

القومية :هي تعبير سياسي يعني شعور الناس بالانتماء جميعا إلى أمة واحدة ،ويشمل هذا الشعور كذلك الإحساس بالولاء للأمة والاعتزاز بثقافتها وتاريخها – وفي العديد من الحالات – الرغبة في الاستقلال الوطني.[1]

- وقد أخذ العرب كلمة القومية عن "القوم" ونعني به الأمة وقد فضلوا القول بالقومية كفكرة عوضا عن الأمية[2] والفكرة القومية الحديثة لم تنشأ إلا بعد التطور الذي لحق معنى الأمة [3]. حيث كان مفهومهما في البداية هو مفهوم الجماعة السياسية التي تعيش تحت حكم ملك واحد يشخص الدولة حتى لو كانت هذه الجماعة السياسية تنتمي إلى أمم شتى ،وبذلك كان مفهوم الأمة يقترب من مفهوم الدولة بمعنى معين ،وتغير هذا المفهوم إلى مفهوم الجماعة القومية التي تربط بين أفرادها مجموعة من الخصائص والمقومات تتعدى مجرد تواجدها في ظل دولة واحدة تحت حكم ملك واحد ،والتي تسعى للاستقلال بنفسها .وهو مفهوم يجعل الدولة والأمة شيئا واحدا.[4]

- أما عن الحركات القومية الحديثة فقد جاءت نتيجة فكر فلسفي نظري تناول هذا الفكر في مدرستين.

---

[1] الموسوعة العربية العالمية ،حرف القاف،ج18 ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ،المملكة العربية السعودية ،1999م ،ص437.

[2] وهذا نظرا لما تتركه كلمة الأمية من لبس ومعنى غير محبب وهذا اللبس غير موجود في اللغات الأخرى.

[3] نور الدين حاطوم ،تاريخ الحركات القومية .ج1 ،ط2 .دار الفكر 1979م ،ص 5.

[4] عبد العظيم رمضان ،تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة ،ج2.الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة –مصر،ص30.

- المدرسة الأولى :هي المدرسة الفرنسية وهي المدرسة القومية الواعية أو القومية الإرادية وقد خرجت إلى الوجود بعد أن نشر جون جاك روسو في 1762م كتابه المشهور عن "العقد الاجتماعي" ثم كتابه الآخر عن "الحكومة في بولندا".[1]

وقد توصل هذا الأخير –جون جاك روسو– إلى استنتاج مفاده أن ارتباط الأفراد في مجتمع من المجتمعات يخلق فيما بينهم روحا عامة مشتركة ويجعل منهم أمة ،وأن الدولة هي الكيان السياسي للأمة ،وهي تقوم على هذه الروح الاجتماعية [2].وتعتبر هذه المدرسة نتاجا للتطور التاريخي الخاص بفرنسا ،الذي أصبحت فيه الدولة والأمة والقومية مدلولات لشيء واحد وفي هذه المدرسة كانت القومية (عقدا أبرمته إرادة المتعاقدين الحرة).[3]

- المدرسة الثانية :هي المدرسة الألمانية ،وهي المدرسة القومية اللاإرادية وتعود في أصلها إلى الفيلسوف "هردر" الذي كان يرى في اللغة روح الشعب ويعتبرها خير معبر عن فكره [4]،وهذه المدرسة أيضا كانت نتاج للتطور التاريخي الخاص بألمانيا التي افتقرت إلى الرابط السياسي وكانت مكونة من شعب استقر في رقعة ممتدة من نهر الراين غربا إلى نهر الأودر شرقا ،وينتمي لعدد من البلدان ،فحسب هذه المدرسة فإن القومية استندت إلى اللغة التي تمثلت فيها وحدة الأصل عند هذا الشعب [5].

- وقد تطور مفهوم هاتين النظريتين مع الزمن خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ولكن أساسيهما ظلا باقيين ومازالت الحركات القومية في القرن العشرين مطبوعة بطابع هاتين النظريتين من حيث الارتباط الحر والإرادة المشتركة و اللغة .

---

[1] عبد العظيم رمضان ،المرجع السابق ،ص31.

[2] نور الدين حاطوم ،المرجع السابق ،ج1،ص6.

[3] عبد العظيم رمضان ،المرجع السابق ،ص31.

[4] نور الدين حاطوم ،المرجع السابق ،ج1،ص6.

[5] عبد العظيم رمضان ،المرجع السابق ،ص32.

لذا يرى معظم دعاة الفكر القومي ،ضرورة التمييز بين القومية كشعور عام بالانتماء إلى جماعة أو قوم أو أرض (وطن) والانتماء الواعي إلى الجماعة والأرض ،بمعنى أن القومية "هي لحظة وعي وإدراك لانتماء فعلي إلى جماعة إنسانية لها مميزاتها وخصائصها. [1]

ولعل من بين أهم التعريفات التي حاولت الاقتراب من المفهوم الأدق للقومية ،ما جاء في موسوعة لالاند الفلسفية فأندريه لالاند ضبط مفهوم القومية من خلال التعريف التالي :القومية هي "جماعة موحدة اجتماعيا برابط متحد العرق أو أقله اتحاد حضاري ،تراث تاريخي ،تطلعات مشتركة حتى وان كانت هذه الجماعة لا تشكل دولة"[2] ،فهو يرى أن الأمة أو القومية:جماعة موحدة برابط رئيسي وهو العرق ثم تليه مجموعة من الروابط الثانوية (الحضارة والتراث التاريخي والتطلعات المشتركة) .وهذا ما كان محل رفض لدى الكثير من المفكرين مثل :ساطع الحصري الذي ينفي وجود أي دور للعرق أو الدم في تكوين أي أمة ،لأن كل الأبحاث العلمية في علم الأنساب فندت بقاء الأمم محافظة على نقائها نظرا للتجانس والتنقل الطبيعي للبشر من مختلف البقاع وبين كل الأجناس ،وقد صاغ الحصري نظريته في هذه المقولة "إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو وحدة اللغة ووحدة التاريخ ،اللغة تكون روح الأمة وحياتها والتاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها".[3]

أما في اللغة العربية فإن القومية مشتقة من كلمة قوم والقوم مصدر قام أي اعتدل الأمر واتزن وقام بالأمر تولاه واعتنى به ،قام الحق ظهر وثبت ،والقوم أقرباء الإنسان الذين يجتمعون معه في أصل واحد ،والقوم هم جماعة من جد واحد وقومية الإنسان تعني قوامه أو ما يقوم به ويستند بقومه أي أهل نسبه ،فقامة المرء تقوم بقومه وانتمائه إليهم وولائه لهم ،وقوام أمر المرء

---

[1] هاني الهندي :الحركة القومية العربية في القرن العشرين (دراسة سياسية) ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت – لبنان،2012 م،ص36.

[2] اندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ،ط2 ،منشورات عويدات ،بيروت–لبنان ،2001م ،ترجمة وتعريب أحمد خليل،ص853.

[3] ساطع الحصري ،ما هي القومية ؟،ط2،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت–لبنان ، 1985م ،ص200.

أي اعتداله ،وقيمته وقوته تكون بقومه ،فالقومية بهذا المعنى تعني علاقة القوم فيما بينهم وكلمة القوم جمع لا واحد له ،والقوم هم جماعة من الناس تربطهم ببعضهم علاقة اجتماعية.[1]

ويقول الباحث "جمال قنان" أن كلمة القومية قد ظهرت لأول مرة في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر في مذكرات الإمبراطور النمساوي جوزيف الثاني بعنوان "*disputes autrichienne*".[2]

ويحيلنا ذات الباحث –جمال قنان – إلى تعريف قدمه الفيلسوف "جون ستيوارت مل" للأمة حيث قال أن أهم العوامل التي تكون أمة ما هي :العواطف المشتركة ،الاتحاد في العنصر والسلالة ،اللغة ،الدين ،الحدود الجغرافية ،الماضي السياسي والاشتراك في تاريخ قومي.[3]

بينما يعرف الغزالي القومية في كتابه حقيقة القومية العربية على أنها "الواقع التاريخي واللغوي والثقافي العام لقوم من الأقوام.[4]

ما نلاحظه من خلال التعريفات السابقة هو أن معظم الباحثين ومن خلال تعريفهم للقومية جعلوها مرادفة للأمة ،وفي مقابل ذلك نجد من يميز المصطلحات عن بعضها ،ويوضح الفرق بين الأمة والقومية هذا ما أكده هاني الهندي في كتابه الحركة القومية العربية في القرن الـ 20

---

(1) علي عباس مراد ،وعامر حسن فياض :الظاهرة القومية (مدخل إلى الفكر القومي العربي)،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي– ليبيا،1998م ،ص26.

(2) جمال قنان ،مفهوم القومية في الفكر الأوربي في القرن 19 ،مجلة المبرز ،المدرسة العليا للأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية ،الجزائر .العدد4،ديسمبر 1994م ،ص92.

(3) نفسه ،ص108

(4) محمد الغزالي ،حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي ،ط3 ،شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،مصر،ص19.

حيث يؤكد على أن الأمة هي ذات نشوء عفوي نتيجة لمقومات طبيعية فيما وجود القومية يعود إلى عمل إرادي واعي يعرف كيف يستدل بالعقل على وجود الأمة.[1]

وهو ما يحيلنا إلى مفهوم آخر للقومية التي أصبحت تعني التشكيل السياسي للأمة ،وهو ما أخرج لنا مفهوم الدولة القومية التي عرفها الباحثان "علي عباس مراد وعامر حسن فياض" على أنها :"مصطلح يشير إلى هيمنة سلطة سياسية بذاتها على منطقة جغرافية معينة تتخذها مجموعة من الأفراد موطنا لها استنادا إلى اشتراكها في المقومات الثقافية والتاريخية وربما اللغوية والعرقية أيضا".[2]

أما الباحث "عزمي بشارة" فيصف القومية بأنها :"مواطنة تطورت عبر بناء تصور للأمة"[3] فهو يرى أن القومية هي تعبير جيد للمواطنة التي تضمن الحقوق الجماعية والفردية من سيادة الأمة في مجالها وحقها في تقرير مصيرها وحقوق أفرادها في التمتع بالحريات العامة ومزايا انتمائهم لهذه الأمة .

وما يمكننا قوله حول مفهوم القومية هو أن القومية تعبير عن كيان سياسي لأمة تكونت بفعل اجتماع عوامل ربطت جماعة من الأفراد ،أهم هذه العوامل :هي وحدة اللغة ،وحدة التاريخ ومواجه المصير المشترك .وهي العوامل الثلاث الأهم والأكثر تأثيرا في تكوين أي أمة تكون قادرة على تكوين كيانها السياسي القومي .

---

(1) هاني الهندي ،المرجع السابق ،ص39.

(2) علي عباس مراد ،وعامر حسن فياض ،المرجع السابق ،ص33

(3) عزمي بشارة ،في المسألة العربية (مقدمة لبيان ديمقراطي عربي)،ط2،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت–لبنان، 2010م ،ص185.

ثانيا :ميلاد القوميات الأوروبية

رغم أن الفكرة القومية الحديثة كان قد أفرزها فكر فلسفي نظري ،إلا أن هذا لا يعني أن القوميات ذاتها ،قد نشأت نتيجة لهذا الفكر .وإنما كانت لهذه القوميات أصولها التاريخية وبمعنى آخر أنها كانت موجودة بالفعل ،ولكن الشعور بها كان غائبا ،فكانت مهمة النظريات هي إيقاظ ذلك الشعور.[1]

حيث يرى أرنست غلنر أن بدايات تشكل القوميات كان مع ظهور الثورة الصناعية التي فرضت على الأمم الأوروبية تشكيل كياناتها السياسية والاقتصادية ،لمسايرة الواقع الجديد.[2]

ويقول الباحثين "علي عباس مراد ،وعامر حسن فياض" ،أن الظاهرة القومية في أوروبا قد نشأت بفعل مجموعة من العوامل :منها عوامل اقتصادية تمثلت في ظهور الرأسمالية ،وعوامل اجتماعية تمثلت في ظهور البرجوازية ،وعوامل سياسية تمثلت في ظهور الملكية المطلقة وعوامل ثقافية تمثلت في إحياء الثقافة الإغريقية والرومانية ،مع الاهتمام بالعلوم الطبيعية.[3]

بينما هناك من يرى بأن بروز الظاهرة القومية مرتبط بعدة ثورات وهو ما ذهب إليه "هاني الهندي" ،حين قال بأن القومية كانت تتويجا لسلسلة طويلة من التغييرات والتحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية ارتكزت على ثلاثة أحداث مفصلية :الحدث الأول هو الثورة الأمريكية في عام 1676م ،والثاني :هو الثورة الفرنسية في 14 جويلية 1789م ،لتضع حدا لطغيان الملك الفرنسي ولطبقتي النبلاء ورجال الكنيسة ،والثالث هو ظهور الثورة الصناعية في بريطانيا[4] ،كما يرى ذات الباحث –هاني الهندي– أن لحروب نابليون بونابرت دور مهم في نشر الفكرة القومية ،فالثورة الفرنسية تعرضت لمؤامرات الملوك الأوروبيين الذين خشوا من

---

(1) عبد العظيم رمضان ،المرجع السابق ،ص33.

(2) أرنست غلنر :الأمم والقومية ، ترجمة :مجيد الراضي،ط1 ،دار المدى ،دمشق–سوريا ،1990م، ،ص16.

(3) علي عباس مراد ،وعامر حسن فياض :المرجع السابق ،ص،ص 54–56.

(4) هاني الهندي :المرجع السابق ،ص– ص37–38.

انتشار أفكارها المتمثلة في (الحرية ،الإخاء،المساواة) بين شعوبهم ،فبدؤوا يعدون العدة لضربها وهو ما أثار مشاعر الفرنسيين.[1]

ومنه نقول بأن ميلاد القوميات الأوروبية لم يتم في مدة قصيرة ،وإنما جاء نتاجا لتراكمات تاريخية ،تمخضت عن جملة من الأحداث المفصلية.

مراحل نشأة القوميات الأوروبية

لقد مرت القوميات في أوروبا بمراحل تهيئة واختبار في النصف الأول من القرن التاسع عشر ،ثم بمراحل تنفيذ وفعل منذ عام 1848م حتى 1914م.[2]

✓أولا :مراحل التهيئة (1800م-1848م) :كانت حروب السيطرة النابليونية منذ مطلع القرن 19م ،حافزا كبيرا للوعي القومي الأوروبي لدى الأمم التي تعرضت للاحتلال الفرنسي ،حيث أدت إلى إيقاظ تلك الأمم وتنبيهها إلى مبدأ القوميات الذي لم تكن تأبه له ،ثم جاء مؤتمر فيينا عام 1815 على إثر انكسار فرنسا ليرسم لأوروبا حدودا لكياناتها السياسية ،بل حدود للأسر والعروش.[3]

ففي الفترة ما بين عامي 1815م و1848م كان لمبدأ القوميات أثر في حياة شعوب أوروبا ،ففي فيفري 1830 (في أعقاب معاهدة أدرنة بين روسيا والدولة العثمانية عام 1829) أقيمت اليونان دولة قومية مستقلة ،وبعد أشهر من هذا التاريخ في جويلية 1830 قامت ثورة جويلية الفرنسية ،وهي ثورة وطنية استقلالية ،حيث يقول في شأنها كافينياك للويس فيليب في 31 جويلية (أنها ليست ثورة داخلية لكنها ثورة وطنية) ،وفي 23 و27 جويلية 1830م قامت بلجيكا بالانفصال عن هولندا ،على أساس مبدأ القوميات والاستقلال في المصير.

---

[1] هاني الهندي :المرجع السابق ،ص39.

[2] محسن شيشكلي :دراسات في المجتمع العربي ،ج2 ،جامعة حلب-سوريا ، 1965م،ص85.

[3] نفسه ،ص86.

وفي عام 1831م أنشأ "ماتزيني (الإيطالي)" جمعيته السرية "إيطاليا الفتاة" تحت شعار الاستقلال ،الوحدة والحرية.[1]

وفي ألمانيا كانت هذه الفترة فترة للدراسة والتحضير ،فلقد قام في الفترة ما بين 1829م-1834م الإتحاد الجمركي الألماني *zollverien* "الزولفرين" شاملا أكثر الدول الألمانية دون استثناء ،وواكبته شبكة للسكة الحديدية التي جاءت لتتمم عمل الاتحاد الجمركي في الوحدة الاقتصادية ،وكانت ألمانيا تطرح على نفسها مشكلة وجودها السياسي كدولة ،ولم يأت عام 1848م حتى اجتمع في فرانكفورت مؤتمر الشعوب الألمانية ليقرر إقامة حكومة ألمانية فيدرالية يقدم تاجها إلى ملك بروسيا بوصفه إمبراطورا لألمانيا ،وإن أخفق هذا المؤتمر إلا أنه كان مقدمة للاتحاد المقام بعد عام 1870م.[2]

✓ثانيا مرحلة التنفيذ (1948م -1914م):

بعد ثورات 1848م قامت انتصارات القومية ،ومزقت معاهدة فينا ،وفي هذا الشأن يقول نابليون الثالث في 5 نوفمبر عام 1863م للجمعية التشريعية عن انتصارات القومية ما يلي:(إن معاهدات 1815م لم تعد موجودة ،لقد قلبتها قوة الأشياء أو تحاول قلبها في كل مكان ،لقد تمزقت هذه المعاهدات في اليونان في بلجيكا في فرنسا في إيطاليا ،وكذلك على الدانوب ،وإن ألمانيا لتتحرك لتمزيقها وإن انجلترا قد قامت بتعديلها من ذاتها فسلمت الجزر لليونان).[3]

وبالفعل فقد توحدت إيطاليا عام 1859م بعد الانتصار على الجيوش النمساوية ،وأدت المفاوضات النمساوية الفرنسية إلى الاتفاق على خروج النمسا من إيطاليا ،وبذلك أصبح شمال إيطاليا ووسطها مملكة واحدة ،وتمم هذا التوحيد بضم روما إليها وجعلها عاصمة لإيطاليا عام

---

(1) محسن شيشكلي ،المرجع السابق ،ص87.

(2) عبد العزيز سليمان نوار ،محمود محمد جمال الدين :التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر العربي ،القاهرة –مصر ،1999م ،ص –ص371-372.

(3) محسن شيشكلي :المرجع السابق ،ص90.

1870م [1] ،وهكذا استطاع ملك ساردينيا أن يقول يومها لشعبه :(اليوم أصبح الإيطاليون أسياد مصائرهم في المدينة التي كانت عاصمة العالم ،بعد تبعثرهم وتشتتهم خلال العصور....).[2] (الملحق رقم 01).

وبعد حرب 1870م الفرنسية الألمانية ،وفي غمرة الانتصارات الألمانية أعلن "بيسمارك" والألمان قيام الإمبراطورية الألمانية في 18 جانفي 1871م[3] ،وكانت الوحدة الألمانية أكبر المنجزات التي قامت على يد المبدأ القومي في القرن التاسع عشر.(الملحق رقم02)

وحين ظن الناس أنه بانتهاء وحدة ألمانيا وإيطاليا ينتهي المد القومي ويبدأ اندحاره ،قام هذا المبدأ بحل الإمبراطوريات المتعددة القوميات في أوروبا وآسيا (الدولة العثمانية والنمسا) ،فلقد قامت نتيجة انحلال القسم الأوروبي من الدولة العثمانية خمس دول قومية بين مؤتمر برلين 1878م وعام 1913م ،ففي مؤتمر برلين أعلن عن استقلال الجبل الأسود وصربيا ورومانيا وبلغاريا ،وفي عام 1913م أعلن استقلال ألبانيا.[4]

فيما يقسم الباحث جمال قنان ظهور القومية في أوروبا إلى ثلاث مراحل :"مرحلة النشأة حتى العام 1815 ،والمرحلة الثانية حتى العام 1871م ،والمرحلة الثالثة التي تنتهي عند العام 1914م".[5]

ويذهب الباحث "عبد العظيم رمضان" إلى ضرورة التمييز بين ثلاثة أنواع من الحركات القومية في أوروبا:

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ،ومحمود محمد جمال الدين :المرجع السابق ،ص ص 366-367.

[2] محسن شيشكلي :المرجع السابق ،ص90.

[3] عبد العزيز سليمان نوار، ومحمود جمال الدين :المرجع السابق ،ص377.

[4] محسن شيشكلي :المرجع السابق ،ص90.

[5] جمال قنان :المرجع السابق ،ص92.

✓النوع الأول :هي الحركات القومية التي نشأت كرد فعل ضد السيطرة النابليونية ،كما هو الحال في حركات المقاومة ضد السيطرة النابليونية في إسبانيا وهولندا.

✓النوع الثاني :الذي نشأ متأثرا بالثورة الفرنسية ومبادئها ،ومستعينا بها ضد السيطرة الأجنبية كما هو الحال بالنسبة لسويسرا.

✓النوع الثالث :هي القوميات التي نشأت كرد فعل لتسوية مؤتمر فيينا التي أغفلت العامل القومي ،وتجاهلت مبادئ الثورة الفرنسية.[1]

إذن كانت هذه هي الأحداث التي غيرت الأفكار والرؤى بالقدر ذاته أو أكثر من الذي غيرت به مصير الشعوب وأوضاعهم السياسية العامة ،نذكر من ذلك الفيلسوف الألماني "فيخته" الذي ذهل لما أصاب ألمانيا من الذل والمهانة أمام جحافل نابليون ،فغير هذا الوضع الذي أصبحت عليه ألمانيا من "فيخته" الفيلسوف وجعله يبدل منطلقاته الفكرية[2] ،حيث رسم فيها بعض معالم الفكر القومي الألماني ،إذ يقول "ساطع الحصري" أن نشأة الفكر القومي عند الألمان كان محصلة للفرق بين الدولة والأمة .... فصاروا يعبرون عن الانتساب إلى الدولة بكلمة *Nationnalitat* والانتساب إلى الأمة بكلمة *Volhstun*.[3]

ومن هذا الفرز بين الدولة والأمة ينطلق فيخته في التأسيس لنظريته حول الأمة ،الأمة الألمانية كما يجب أن تكون حسبه ،ثم عمم القاعدة على باقي الأمم ،"ففيخته" يرى أن اللغة هي جهاز الاجتماع في الإنسان ،فهي حلقة الربط وأداة التواصل بين أفراد الجماعة البشرية التي يمكن أن نسميهم أمة ،والأمة واللغة أمران متلازمان في نظره ،فالذين يتكلمون بلغة واحدة

---

[1] عبد العظيم رمضان :المرجع السابق ،ص36.

[2] جمال قنان :المرجع السابق ،ص94.

[3] ساطع الحصري :ما هي القومية ؟ ،المرجع السابق ،ص32.

يكونون كلا موحدا ،ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئية ،ثم يتوصل "الحصري" في محصلة عرضه لآراء فيخته في القومية بقوله :(إن فيخته يعتبر اللغة أساس القومية).[1]

إذن فالقومية الألمانية تكونت على أساس العامل اللغوي الذي سطرته التراكمات التاريخية.

وعن النموذج الإيطالي فإن "مازيني" يتصدر طليعة الفكر الإيطالي الذي ناقش مسألة القومية ،حيث يعتبر أن القومية الحقيقية هي تلك التي تعمل من أجل المساواة بين الأمم "فمازيني" يؤمن برسالة إيطاليا الموحدة في تحقيق الوحدة المعنوية للجنس البشري كله ،ويريدها أن تكون مركز دين الإنسانية الجديد[2] ،مع أننا نجد لكل جزء في إيطاليا سياسته الخاصة التي تختلف عن الأخرى غير أن نتيجة الحركة القومية فيها أدت إلى خلق رد فعل شديد ضد كل دخيل أجنبي.[3]

إذن فالحركة القومية الإيطالية ركزت على مبدأ الوحدة السياسية بين كل المدن الإيطالية واعتمدت على رابطة الجنس لمواجهة الأجانب القادمين من خارج هذا المحيط الذي يستوطنه الطليان ،وهذا ما يدفع بنا إلى القول بأن القومية الإيطالية هي حركة سياسية بالأساس ،تفتقر إلى التنظير الفكري الموجود في القومية الألمانية.

وعن القومية الفرنسية نقول :أن لها تنظير فكري رسم حدوده "أرنست رينان" الذي انتقد العوامل التي قررها مفكرون آخرون ،على أن لها دور في تكوين القومية وهي :1/عامل الأسرة المالكة ،2/وحدة الأصل ،3/وحدة اللغة ،4/وحدة الدين ،5/الاشتراك في المصالح ،6/العوامل الجغرافية ،7/الأمور الإستراتيجية ،حيث رفض "رينان" كل هذه العوامل وقال بأن الاشتراك في

---

(1) ساطع الحصري : ما هي القومية؟ ،المرجع السابق ،ص56.

(2) جمال قنان :المرجع السابق ،ص –ص105-106.

(3) نور الدين حاطوم :المرجع السابق ،ص312.

تراث ثمين من الذكريات ،والرغبة في المعيشة المشتركة مع الاحتفاظ بذلك التراث المعنوي المشترك ،والسعي وراء زيادة قيمة ذلك التراث هو أس الأساس في تكوين الأمة. [1]

فالأمة في نظر. رينان ليست إلا جماعة من الناس يشاءون أن يعيشوا سويا.[2]

إذن فالقومية في الفكر الفرنسي تستند إلى عامل أساسي وهو مشيئة المعيشة المشتركة.

هذه هي مخاضات القومية في أوروبا ،في أشكالها المتباينة ،وبالتأكيد فإن الحركة القومية في أوروبا قد ألهمت الأمم الأخرى لتنتقل هي أيضا إلى عصر القومية ومنها الأمة العربية التي شهدت رحلة عسيرة في درب تكوين قوميتها ،فما هي الظروف والعوامل التي أدت إلى نشأة القومية العربية ؟.

---

[1] ساطع الحصري :ما هي القومية؟ ، المرجع السابق ،ص- ص106-107.

[2] المرجع نفسه ،ص113.

الفصل الثاني

ميـــــلاد القوميـــــة العربيـــــة

أولاً: نشأة القومية العربية

ثانيا :مراحل تطور القومية العربية 1908-1914م

أولاً: نشأة القومية العربية

القومية العربية هي مفهوم حديث بالنسبة للتاريخ العربي لم تبدأ إلا في القرن الـ 19م[1] والبحث عن نشأة القومية العربية يقودنا إلى تحديد الموقع الجغرافي، وبيان المعنى الدقيق لعبارة العالم العربي، أما عن لفظة عرب فقد اتسع مدلولها خلال القرون التي تلت ظهور الإسلام وانتشاره، ففي البداية كانت تطلق على الجنس البشري المستوطن لليمن وحضرموت ليتغير هذا المعنى ويشمل مجالا أوسع مع انتشار الإسلام[2].

وترد كلمة عربي في القرآن الكريم نسبة إلى اللغة العربية في آيات عدة وكلمة عربي مقابل أعجمي للناطق بها ، فالناس عرب أو عجم بلسانهم[3]، وتعد اللغة العربية عمادا رئيسيا ومقوما جوهريا من مقومات القومية العربية[4].

والبلاد التي يشتمل عليها العالم العربي : هي تلك " السلسلة المتصلة من الأقطار الممتدة من شواطئ الأطلسي غربا ،على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط إلى حدود إيران شرقا، أي ساحل إفريقيا الشمالي من مراكش إلى مصر ثم بلاد الشام والعراق ثم شبه الجزيرة العربية".[5]

أما البحث عن نشأة القومية العربية فيقتضى منا السعي نحو فهم أعمق للظروف العامة التي كانت تعيشها الأمة العربية آنذاك والتي كان لها الدور الرئيسي في توجيه مسار الأحداث والتغيرات السياسية الطارئة في المنطقة العربية التي كانت على شكل ولايات تابعة إداريا

---

(1) القومية العربية والإسلام، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الوحدة العربية، بيروت– لبنان،ط3 ، 1988م، ص 510.

(2) جورج أنطونيوس، يقظة العرب،(تاريخ حركة العرب القومية)،دار العلم للملايين، لبنان، ط 8، 1987، ص 72.

(3) نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي ،ط1 ،مركز دراسات الوحدة العربية،سلسلة الثقافة القومية6، بيروت– لبنان ،1976 ،ص16.

(4) نفسه، ص 24.

(5) جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص77.

وسياسيا إلى سلطة الخلافة العثمانية في إسطنبول، هذه الخلافة كانت بدورها تعيش هزات عنيفة تنحوا منحى الانحدار الحضاري المنبئ بزوالها.

وقد كان ولاء العرب للدولة العثمانية منطلق من الاستجابة للعاطفة الدينية، إلا أن هذا الولاء تغير نتيجة لمساوئ الحكم العثماني، الذي كان يعتمد نظام السيطرة الهادفة إلى الاستفادة القصوى لمصلحة العنصر التركي.[1]

وما إن أطل القرن 19م إلاّ وكانت قد تبلورت فكرة الحق الفردي والجماعي على الدولة وظهر المصلحون، وبالتالي نادوا بحق المساواة، وقد كان من أهم الأسباب اليقظة العربية ما يلي:

✓ضعف تأثير الحكم العثماني في الشعوب العربية: حيث كان الحكم العثماني ضعيفا في تأثيره على الشعوب العربية ولم يكن للعثمانيين رصيد حضاري كبير لغزو المستويات الأساسية للشعوب العربية بل إن فكرة العثمانيين في الحكم (فكرة الحكم الغير مباشر) تدل على أنهم لم يحاولوا تغيير ما كان سائدا في العالم العربي.

والواقع أن الحكم العثماني في المشرق العربي ،كان من العوامل التي ساعدت على الترابط بين الشعوب العربية –فقد جمع العثمانيون العرب في دولة واحدة –،فمثلا كان المشرق العربي وحدة متصلة لا تفرقها حواجز جمركية أو سياسية، إذ يستطيع أي فرد أن يسافر مثلا من: بغداد إلى مكة دون صعوبة...[2]

✓حالة الضعف والتدهور التي انتابت الدولة العثمانية ومقارنتها بنهضة أوروبا التي أخذت من دولها بمبادئ القومية.

---

[1] جميل بيضون وآخرون ،تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع،إربد – الأردن ،1991م، ص143.

[2] شوقي عطا الله الجمل، وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ،تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،مصر ،2007، ص 122.

✓التنظيمات التي وضعتها الدولة العثمانية: وما أثارته لدى الشعب، من مبدأ المساواة إلى عدم معاقبة الشخص دون محاكمة، وضرورة وضع مشروع لإبطال المتاجرة بالوظائف التي كانت سببا رئيسيا في فساد الحكم، وعلى الرغم من أن هذه التنظيمات قد وضعت مبدأ المساواة على الورق، إلا أنه لم يطبق على أرض الواقع، مما أدى إلى اتساع الحركة نحو نيل تلك الحقوق التي تنبهت لها الشعوب العثمانية.(1)

✓ظهور رواد الفكر القومي العربي: وكان من هؤلاء "ناصف اليازجي" الذي عمل مع زملائه على إحياء التراث العربي و"بطرس البستاني" الذي وضع قاموس عربي،ودائرة معارف عربية، وأصدر صحيفة في سوريا تدعوا إلى الوحدة والتكاتف اسمها " نغير سوريا"، وهي أول صحيفة سياسية دعت إلى الوحدة العربية.

ومن المفكرين والمصلحين "عبد الرحمان الكواكبي" الذي كان يدعو للعودة إلى القرآن والسنة، ووضع تصور لدولة إسلامية موحدة مبنية على المبادئ السامية، وقيام هيئة أمم إسلامية موحدة تجتمع في مكة المكرمة بكتابه "أم القرى" ،ودعا إلى المساواة بين العرب والأتراك، وهاجم الاستبداد بكتابه "طبائع الاستبداد" .وكان من الشخصيات المؤثرة على النهضة العربية "مدحت باشا" الذي كان من رجالات الحكم في الدولة العثمانية ،حيث عمل واليا في بغداد ودمشق، وقام بالعمل على تحديث الدولة ،فنظم توزيع الأراضي، وأنشأ المدارس، والمستشفيات، ونشر الأمن مما أدى إلى استقرار الأوضاع وهو ما انعكس إيجابا على حال البلاد.(2)

✓إدراك مفكري النهضة العربية الحديثة للدور العثماني التركي في إهمال المساهمة العربية في إدارة دولة يمثل العرب فيها أكثر من نصف رعاياها، وتم رفع شكوى إلى الباب العالي بهذا

(1) جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق،ص–ص143–144.

(2) نفسه ،ص–ص 144–145.

الشأن للمطالبة بحقوق العرب للمشاركة في المناصب العليا للسلطنة فبالرغم من اشتراك العرب مع بقية العناصر في دفع الضرائب إلا أنهم حرموا من تلك المناصب.[1]

✓الاحتكاك بأوربا في عصر القوميات.[2]

✓حرص المثقفين العرب من المسيحيين وبخاصة في بلاد الشام على التبشير برابطة جديدة تربطهم بالعرب المسلمين في ظل دولة لا تخضع لنير العثمانيين ،فكانت الرابطة القومية هي الرابطة التي بشروا بها فيما بينهم وبين العرب المسلمين من صلات اللغة والقيم والتاريخ والمصالح والأهداف المشتركة ، لأن هذه الرابطة التي تؤسس لا يكون الدين عامل تميز فيها، بل تقوم على عامل ربط مهم وهو الرابطة القومية.[3]

✓سياسة التتريك التي اتبعتها جماعة الإتحاد والترقي وتفضيلها للأتراك على غيرهم من رعايا الدولة العثمانية، واستئثار الاتحاديين بكل المنافع لصالح العنصر التركي والاستمرار في تجاهل العنصر العربي واضطهاده بواسطة الأحكام العرفية ،وهضم حقوق العرب وعدم الاعتراف بها.[4]

✓ثورة الاتصالات التي أنهت العزلة لأهالي الولايات العثمانية وقربت بين العرب وأشعرتهم بروابطهم العديدة، ووحدت همومهم وآلامهم وآمالهم ،ونقلت أفكارهم إلى بعضهم فنشرت الحركة القومية أفكارها وبشرت بمبادئها.[5]

أمام تلك الظروف والعوامل اضطر العرب إلى ابتداع النظريات العقائدية لخدمة قوميتهم كما فعل الأتراك خاصة وأن العرب يجمعون كل مقومات الشعوب القومية، ذلك أن التاريخ

[1] محمد حسن العيدروس ،تاريخ العرب الحديث ،ط1 ،دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع ،الكويت ،1998م ،ص269.
[2] نفسه ،ص271.
[3] علي عباس مراد ،وعامر حسن فياض،المرجع السابق ص142.
[4] محمد حسن العيدروس ،المرجع السابق،ص296.
[5] علي عباس مراد ،وعامر حسن فياض ،المرجع السابق،ص143.

العربي كان واضحا في الأذهان في زمن سابق لوعي الأتراك بتاريخهم ولم تكن لغتهم قد تأثرت كلغة الأتراك بالتأثيرات الأجنبية ،بل بقيت كما هي في جوهرها الأصيل منذ الجاهلية حتى الآن بفضل القرآن الكريمَ رغم الظروف الصعبة التي مرت عليها من حكم أجناس من غير العرب ابتداء من سقوط حكم العباسيين ورد الحروب الصليبية وحكم المماليك والعثمانيين حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

فبالرغم من أن فكرة الوحدة العربية لم تكن قد تبلورت في أفكار العرب القوميين آنذاك. إلا أن العرب عندما شعروا بالخطر المحدق بقوميتهم والمحاولات التي قامت لمحوها وإذابتها في القومية التركية باسم الخلافة ظاهرا جعلهم يتشبثون بكيانهم القومي دفاعا عن شخصية قومهم فأخذت الأفكار القومية تنمو رويدا رويدا في أذهانهم بفعل الاصطدام مع الأتراك والاحتكاك بالعناصر القومية الأخرى[1] .

كان هذا عن الأسباب الأساسية التي دفعت نحو ميلاد القومية العربية التي نحتاج إلى وضع تعريف عام لها يقربنا أكثر إلى فهمها بعمق فنستحضر بعض التعريفات التي وردت في كتابات المفكرين القوميين ك- عبد الله العلا يلي- الذي يصفها فيقول :"القومية العربية هي شعور العرب بوجودهم الاجتماعي التام شعورا ذاتيا لا موضوعيا بحيث يلازمهم خيال الجماعة العربية، كمركب نفسي وحيوي ملازمة وجدانية بالغة، فلا ينفك كل عربي شاعرا في جبر غريزي بالصلات والروابط المتينة الشائعة على وجه الأرض تنتقل لديه الجماعة من ظاهرة الحياة إلى باطن النفس".[2]

كما وجدنا تعريفات للقومية العربية قدمها هاني الهندي استقاها من أدبيات وتراث الفكر القومي العربي، فجاء عن القومية العربية أنها :"إيمان صريح يشهد به العربي على نفسه يوحيه

---

[1] محمد حسن العيدروس،مرجع سابق،ص -ص270-271.

[2] عبد الله العلايلي ،دستور العرب القومي ،ط2 ،دار الكتاب الجديد ،بيروت – لبنان ،1996م ،ص101.

عليها في أعماله فيقول أشهد أن امة العرب واحدة أنا منها وإليها، وأن وطنها العربي كله وطني وأن حق الأمة في تقرير مصيرها بيدها، وفي سيادتها سيادة مطلقة تامة واستقلالها ناجزا في حيز الوطن وفي أمورها الخارجية وهو حق مطلق لها، وأن مصلحة أمة العرب وغايتها فوق كل مصلحة وغاية".[1]

فالقومية العربية إذن عقيدة مستمدة من العرب عائدة إليهم جامعة لهم ،مؤلفة بينهم سياسيا وثقافيا هدفها تحرير الأمة تحريرا كاملا من النفوذ الأجنبي بشتى مناحيه وأشكاله وصوره وأسمائه من المظالم المختلفة فيها ،وذلك بإنشاء كيان عربي سياسي موحد قائم على أسس من سيادة أمة والتقيد بمصلحتها ،والمساواة التامة بين أبنائها والعدل في مجتمعها ،باعث للعرب في سبيل الرقي ،هذا هو المأمول من الحركة القومية العربية التي عاشت وقت ميلادها مخاضات عسيرة تفتقت عن اليقظة العربية التي كانت مع بداية النهضة الفكرية العامة.

ويقرر "علي المحافظة" أن المسيحيين العرب كانوا الأسبق على العرب المسلمين في التحسس بالشعور القومي ،فرواد الحركة القومية العربية تخرجوا من المعاهد التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية المختلفة.[2]

ميلاد القومية العربية:

لقد حدد جورج أنطونيوس بداية اليقظة العربية الحديثة في الفترة مابين (1847-1868م) وهي فترة الجمعيات الأدبية والعلمية[3] ،حيث أدرك المثقفون ضرورة دفع عجلة اليقظة العربية في شتى أرجاء الوطن العربي وبين مختلف فئات المواطنين العرب ،وقد أخذ العرب يؤسسون

---

[1] هاني الهندي ،المرجع السابق ،ص179

[2] علي المحافظة ،الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1939م) ،دار الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت -لبنان،1987م ،ص129.

[3] جورج أنطونيوس ،المرجع السابق،ص15.

الجمعيات العربية المختلفة لتعميق الوعي العربي ،ولإحياء التراث العربي القديم ،وقد بدأت هذه الجمعيات أول الأمر جمعيات أدبية تعمل على بعث اللغة العربية والآداب والتاريخ العربي.[1]

حيث كانت بلاد الشام مقرا لهذه الجمعيات التي أنشأت في البداية على أيدي المسيحيين العرب وهذا بسبب ظروفها الخاصة –بلاد الشام– من كثرة عدد المسيحيين ووجود الأراضي المقدسة بها وكانت غالبية هذه الإرساليات كاثوليكية في البداية ،ثم وصلت البعثات البروتستنتية التبشيرية إلى بلاد الشام قبل الحكم المصري بقليل ،وازداد نشاط هذه البعثات في عهد الحكم المصري(1832–1840م) بتشجيع ملحوظ من "إبراهيم باشا" واستمرت هذه البعثات في مزاولة نشاطها حتى بعد انتهاء الحكم المصري، ونشطت بصفة خاصة في الميدان الثقافي البعثات الأمريكية ففتحت المدارس في لبنان وبيروت وبيت المقدس وأنشأت مدرسة الإعداد للمعلمين ،كما أنشأت الكلية السورية البرتستنتية 1976م الجامعة الأمريكية ببيروت فيما بعد وبدأ التنافس بين مختلف البعثات التبشيرية.[2]

أ–**الجمعيات الأدبية والاجتماعية** :وفيما يلي إشارة إلى أهم الجمعيات الأدبية والاجتماعية ذات التوجه القومي:

–**الجمعية السورية:** وقد ألفها عدد من الأدباء جميعهم من المسيحيين منهم ناصف اليازجي وبطرس البستاني بالإضافة إلى أعضاء البعثة التبشيرية الأمريكية في بيروت وكان لها جهود واضحة في إحياء التراث العربي ونشر العلوم بين العرب ، وتعتبر أولى الجمعيات ليس في بلاد الشام بل في العالم العربي، إذ تأسست سنة 1848م ولم يلبث الجزويت اليسوعيون أن حذوا حذو الأمريكيين فأسسوا الجمعية الشرقية من المسيحيين العرب والأجانب دون المسلمين

(1) محمد عبد الله عوده، وإبراهيم ياسين الخطيب،تاريخ العرب الحديث ،الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان،1979م ،ص149.

(2) شوقي عطا الله الجمل ،وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ،المرجع السابق ،ص126.

سنة 1850م ، كما تأسست جمعيات أخرى على غرارها، وكان لها دور مهم في نمو الحركة العربية[1].

-**الجمعية العلمية السورية:** أنشأت عام 1857م وبلغ أعضاؤها 150 عضو واشترك فيها زعماء العرب من مختلف العقائد، وكان من أعضاء مجلس إدارتها العالم الدروزي محمد أرسلان وإبراهيم اليازجي، واستطاعت هذه الجمعية أن تجمع بين العقائد المتناحرة وتوحدها في رابطة ايجابية فعالة ،توقف نشاط هذه الجمعية أثناء أحداث 1860م بين الدروز والموازنة لكنها استأنفت نشاطها بعد فترة وجيزة ونالت اعتراف الحكومة بها سنة 1868م فكان إنشاء هذه الجمعية هو أول مظهر للوعي الوطني الجماعي وترجع قيمتها الحقيقية في التاريخ إلى أنها كانت مهدا لحركة سياسية جديدة.[2]

فبدأت هذه الجمعية تعمل على إحياء اللغة العربية، وبعث التراث الفكري العربي، والإفادة منه، ثم أصبحت مهدا للحركة السياسية فألقى إبراهيم اليازجي قصيدة وطنية كانت بمثابة دعوة للثورة على الحكم التركي، ومما جاء فيها:

تنبهوا وإستفيقوا أيها العرب ... فقط طمى الخطب حتى غاصت الركب
أقداركم في عيون الترك نازلة ... وحقكم بين أيدي الترك مغتصب
صبرا هيا أمة الترك التي ظلمت ... دهرا فعما قليل ترفع الحجب
لتطلبن مجد السيف مأربنا ... فلن يخيب لنا في جنبه أدب.[3]

-**جمعية زهرة الآداب** :تأسست سنة 1872م وكان معظم أدباء وعلماء ووجهاء سورية قد تعاطفوا عليها، وكان غرضها نشر العلوم وترقية الفنون بين الناطقين بالضاد والتمرن على

(1) محمد عبد الله عودة ،وإبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق،ص150.

(2) جورج انطونيوس ،المرجع السابق ،ص- ص119-120.

(3) محمد عبد الله عودة، وإبراهيم الخطيب، المرجع السابق، ص 150.

الخطابة وقوة الحجة، والدرس والبحث. ومن أعضائها سليمان البستاني وإسكندر العازار ونعمان الخوري.

-**جمعية باكورة سورية:** حدثت نهضة نسائية في بيروت فأنشأت النساء جمعيات خطابية منها هذه الجمعية، حيث تم إلقاء المحاضرات العديدة في الجمعية والتي تعالج المواضيع الأدبية والاجتماعية.

-**الجمعية العلمية في المدرسة الأمريكية:** أنشأها تلاميذ المدرسة الأمريكية كان هدفها تمرين الأعضاء على الاجتماعات وإلقاء الخطب.

-**جمعية المقاصد الخيرية:** تأسست هذه الجمعية سنة 1878م في دمشق، كان لها فروع في بيروت ،وكان غرضها إنشاء المدارس، وترقية المعارف، والاهتمام بجمع المخطوطات والكتب العربية ومن أعضائها الشيخ فضل القصار.

-**جمعية زهرة الإحسان:** غرضها تعليم بنات طائفة الأورتوذكس في بيروت، وجمعية تهذيب الشبيبة السورية، وكان هدفها متابعة تعليم الشباب.

-**الجمعية التاريخية:** أنشأت سنة 1875م للبحث في التاريخ، وغيره من العلوم للوقوف على تاريخ العرب وآدابهم، وتراثهم المجيد، ومن أعضاء هذه الجمعية الشيخ طاهر الجزائري الذي كان له باع طويل في خدمة اليقظة العربية.

وقد أنشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر جمعيات نسائية لأغراض علمية وأدبية.

أما في مصر فقد وجدت جمعيات كثيرة منها: الجمعية الجغرافية، جمعية الآداب سنة 1871م والجمعية العلمية الشرقية سنة 1877م، إلى جانب جمعيات كثيرة لنشر الكتب، وأخرى

لتعريبها وأندية أدبية وجمعيات خيرية تعليمية، كجمعية العروة الوثقى الإسلامية وقد بلغت الجمعيات في القرن التاسع عشر 160 جمعية.[1]

ب- الجمعيات السياسية:

لم تبق المبادئ الفكرية التي نادي بها الأدباء والمفكرون العرب في نطاق النظريات ،ولكن سرعان ما انتقلت هذه الأفكار إلى مجال السياسة، إذ أخذت الآراء السياسية تتسرب إلى الجمعيات الأدبية، فكانت أول مبادرة من قبل الجمعية السورية التي ذكرناها، وبدأ المفكرون يشكلون الجمعيات السياسية، ووضع البرامج السياسية لمستقبل العرب وقد أحدثت دعوات المفكرين دويا مسموعا في الأوساط الرسمية والشعبية فتأسست العديد من الجمعيات منها:

-**جمعية بيروت السرية سنة 1875م:** قامت في بيروت ،وهي أول جمعية عربية سياسية اقتصر نشاطها في بداية الأمر على المناقشات السياسية وعقد الندوات، ثم توسع هذا النشاط فتبنت الدعوة إلى الوحدة العربية، والوقوف في وجه الأتراك والتنديد بمساوئهم وفضح اساليبهم الإستبدادية وسعيهم إلى محو العروبة وتتريك العرب، ضمت الجمعية 22 عضوا من مختلف الطوائف والأديان وكان هدفها الثورة ضد الأتراك.

-**رابطة الوطن العربي في باريس:** أسس هذه الجمعية نجيب عزوري سنة 1904م، كان هدفها تحرير بلاد الشام والعراق من سيطرة الأتراك وإقامة دولة عربية مستقلة تضم المسلمين والمسيحيين ،وهاجم الطائفية واعتبرها شرا يهدم الحركات القوميةوقد وجهت الجمعية عددا من النداءات التي تدعوا العرب للثورة على الحكم التركي وفي عام 1905م أصدر نجيب عزوري كتابا باللغة الفرنسية بعنوان يقظة الأمة العربية أمام مصالح ومنافسات الدول الأجنبية.[2]

---

[1] محمد عبد الله عودة وإبراهيم الخطيب :المرجع السابق ، ص-ص 151-152.

[2] المرجع نفسه، ص 152.

-جمعية الشورى العثمانية: تأسست في القاهرة برئاسة الشيخ رشيد رضا ،كان سبب إنشائها تدهور الأوضاع في الرابطة العثمانية وقصور "جمعية تركيا الفتاة" و "حزب الإتحاد والترقي" عن تمثيل إدارة الشعوب التي تتكون منها الدولة العثمانية فاستطاعت هذه الجمعية أن تؤسس عدة فروع لها في عدة مناطق عربية وأنشأت لها صحيفة باسمها وهدفها جعل الحكومة العثمانية دستورية شورية.[1]

ثانيا: مراحل تطور القومية العربية1908-1914م:

يمكننا التمييز بين طورين من أطوار الحركة القومية العربية.

الطور الأول من (1908-1911م):في هذا الطور سارت الحركة القومية العربية في وفاق مع الحركة القومية التركية، فقد كانت الحركة التركية موجهة ضد استبداد السلطان عبد الحميد، ذلك الاستبداد الذي انعكس بالطبع على الولايات العربية، فقد كان من الطبيعي أن ترحب الأقطار العربية بكل حركة موجهة ضد السلطان عبد الحميد، وهذا في سبيل إقامة نظام دستوري لأن هذا سيكون له أثره على الولايات العربية، لذا حمل المفكرون العرب الأحرار على السلطان عبد الحميد بنفس العنف الذي حمل به عليه الأتراك، وكتاب عبد الرحمان الكواكبي "طبائع الاستبداد" دليل على ذلك.[2]

حيث أنعش الانقلاب الذي نفذه الاتحاديون الأتراك على السلطان ،قد أنعش آمال العرب بالحرية والمشاركة مع الأتراك في بناء الدولة وهو الذي تجسد في ظهور عدة جمعيات عربية تتبنى خط المهادنة والتآخي بين العرب والأتراك.

إذن لقد قولبت أنباء إعلان دستور (1908م) بحماس بالغ عند العرب ،فقامت الشخصيات العربية في الأستانة بتأسيس جمعية "الإخاء العثماني" في نفس السنة، وكان هدفها

---

[1] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 273.

[2] شوقي عطا الله الجمل، وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص128.

التعاون مع جماعة الإتحاد والترقي للمحافظة على أحكام الدستور وكذا الحفاظ على حقوق العرب ومصالحهم.[1]

ومن بين هذه الجمعيات التي تبنت نفس الطرح نذكر:

الجمعية القحطانية 1909م: كان هدفها تحويل الإمبراطورية العثمانية إلى مملكة ثنائية بين العرب والأتراك.

المنتدى الأدبي 1909م (بالأستانة) ساعد على توعية الناشئة وبث الروح القومية بينهم.[2]

جمعية العربية الفتاة 1911م: كانت تهدف للنهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية وعدم الانفصال عن الدولة العثمانية (ثم تغيرت رؤيتها فيما بعد).[3]

الطور الثاني: من (1912-1914م)

في هذا الطور بدأت الحركة العربية تتخذ لها مسارا متميزا بل ومعاديا للدولة العثمانية[4] خاصة بعدما رآه العرب من ميل الأتراك أنفسهم عن رابطة الخلافة العثمانية وتوجههم إلى القومية التركية. فما إن قامت جمعية الإتحاد والترقي تريد تتريك العناصر العربية حتى توجه العرب إلى الرابطة القومية.[5]

ومنه فإن العرب أصبحوا بين مطرقة استبداد الترك ومحاولتهم لتتريكهم والقضاء على قوميتهم، وبين سندان الدول الأوربية المسيحية التي تسعى لاستعمار بلادهم. لذلك لم يكن أمامهم إلا التشبث برابطتهم العثمانية مع حرصهم على المحافظة على قوميتهم العربية،

(1) محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 273.

(2) على المحافظة ،المرجع السابق ،ص 140.

(3) المرجع نفسه، ص 144.

(4) شوقي عطا الله الجمل ،وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم،المرجع السابق،ص129.

(5) جفري برون،تاريخ أوربا الحديث ،ط1 ،ترجمة :علي المرزوقي،دار الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان-الأردن،2006م،ص561.

فطالبوا بالحكم اللامركزي، فكان لجمعية"العربية الفتاة" دور رئيسي في الدعوة للمؤتمر العربي الأول في باريس[1].

فعقد هذا المؤتمر في باريس مابين 18-23جوان 1913 وناقش مسألتين رئيسيتين هما:

حقوق العرب والإصلاح الإداري على أساس اللامركزية، لكنه لم يبحث في مسالة الاستقلال عن الدولة العثمانية وهو ما جعل ممثلا عن الدولة العثمانية يوقع الاتفاقية مع المؤتمرين لتنفيذ المطالب المقدمة إلى السلطان العثماني، لكن تركيا الفتاة أخلفت وعودها مع العرب وانتهجت سياسة التتريك، وزادت من اضطهادها للعرب، إضافة إلى ذلك فقدان العرب ثقتهم في قدرة الدولة العثمانية على حمايتهم لاسيما بعد احتلال إيطاليا لليبيا، وما أزم الوضع أكثر هو اشتعال فتيل الحرب العالمية الأولى ،وتتالي المشانق التي نصبها جمال باشا للعرب هنا كانت القطيعة التي أدت إلى ظهور الحراك السياسي القومي العربي ضد استبداد الدولة العثمانية.[2]

في ظل هذه الظروف سعى العرب لإيجاد كيان مستقل لهم ،فشجعهم الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى وعقدوا اتفاقا مع الملك حسين لتحرير البلاد العربية ،فأعلن الشريف حسين الثورة على آل عثمان، ولكنه جهل بمطامع المستعمرين الذين كانوا قد اتفقوا فيما بينهم بمعاهدات سرية قسمت البلاد العربية بين إنجلترا وفرنسا.[3]

ويرى المؤرخ "زين نور الدين زين" أن سياسة "جمال باشا" كانت وراء التحول الكبير للحركة العربية إلى موقف العداء الكامل تجاه السلطنة والتوجه نحو الاستقلال وسجل في كتابه "إننا لا نغالي إذا قلنا أن حكم جمال باشا في سوريا أثناء الحرب العالمية الأولى كان أحد العوامل في موقف أكثرية الزعماء العرب المسلمين من تركيا، إذ أنه قضى على كل تردد ودفع

---

(1) محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 274.

(2) يوسف الشويري، في الثقافة العربية في القرن العشرين (حصيلة أولية)، إشراف وتحرير عبد الإله بلقزيز، ط 1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان ،2011، ص 252.

(3) جيفري برون، المرجع السابق، ص–ص561-562.

بهم إلى اتخاذ قرار الانفصال التام عن الأتراك، فقد ازداد شعور العرب القومي بعد ماي 1916م (يوم شنق عدد كبير من قادة العرب) حماسة وتحفزا وأصبح الاستقلال والسيادة القومية أمران حيويان بالنسبة إلى العرب وإذا كان نظام "جمال باشا" الطاغية في سوريا هو العامل الثاني والحاسم فإن العامل الأول كان السياسة المتعصبة التي اتبعتها "تركيا الفتاة" أدى إلى تقوية القومية العربية ،فإن العامل الثالث الحاسم كان تشجيع الحلفاء للعرب على القيام بالثورة ضد الأتراك ومساندتهم في حقهم للمطالبة بالحرية والاستقلال.[1]

إذن فالمؤرخ "زين نور الدين زين" يحاول التأكيد على الاضطرارية الحتمية التي وقع فيها العرب آنذاك للقيام بعمل مسلح ضد الاتراك ،قصد التخلص من الاستبداد وتحقيق الحرية الشاملة ،كما برر أن التحالف مع الحلفاء وعقد اتفاق معهم كان ضرورة لا خيارا.

وفي 10 جوان 1916م كانت البداية الرسمية للثورة العربية الكبرى على الحكم العثماني حينها أعلن أمير مكة "الشريف حسين" أن العرب لم يعودوا رعايا للسلطان العثماني ،فتميزت هذه الثورة التي انطلقت من الحجاز بطابعها القومي العام ،أي أنها لم تكن ثورة قطرية أو محلية ولم تمثل منطقة أو قبيلة أو زعيم محلي ،بل عملت على تحقيق الاعتقاد بأن الناطقين بالضاد يشكلون أمة ،وأن هذه الأمة يجب أن تكون مستقلة ومتحدة.[2]

لكن المأزق الذي وقع فيه العرب إثر اندلاع الثورة العربية الكبرى ،أنه لم تكن هناك قوة ذاتية تدعم هذا الحكم الناشئ ،أو الحركة القومية الناشئة ،ما جعلها تعتمد دبلوماسيا وعسكريا على القوة البريطانية لذلك وقع في مأزق لا مفر منه ،وهو المأزق الذي يقع فيه كل ضعيف يعتمد على دولة عظمى لتحقيق مآربه.[3]

---

[1] زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية: مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط4، دار النهار للنشر بيروت – لبنان، 1986م، ص122.

[2] ألبرت حوراني ،الفكر العربي في عصر النهضة ،ط4 ،تر:كريم عزقول ،دار النهار للنشر ،بيروت –لبنان ،ص311.

[3] نفسه ،ص246.

فكان هذا من أكبر المآخذ التي حسبت على الحركة القومية العربية في طريقها نحو التخلص من الاستبداد التركي الذي ما سعدت به حتى وقعت تحت وطأة استعمار أوربي ظالم ،أدى إلى ما نراه اليوم من حال الامة العربية المقسمة في جغرافيتها السياسية المرسومة وفق بنود اتفاقية سايكس بيكو.

الفصل الثالث

تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي

أولا :انتقال المؤثرات الغربية إلى العالم العربي

ثانيا :تأثر رواد الفكر القومي العربي بالفكر القومي الأوروبي

ثالثا :نتائج تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي

أولا :انتقال الفكر القومي الأوروبي إلى العالم العربي:

لقد كانت بدايات ظهور الوعي العربي ذاتية بالدرجة الأولى ،ولكن انتقال المؤثرات الغربية أو حتى الاحتكاك بها أضاف عاملا جديدا كان له تأثيره ،فقد كان التأثر بالفكر الغربي الأوروبي من بين العوامل التي أدت إلى بلورة فكرة القومية العربية، فكانت البداية بحملة نابليون على مصر.

أ- **الحملة الفرنسية على مصر** (1798-1801م):

أبحر نابليون في 19 مارس 1978م، متجها إلى مصر فنزلت جنوده بشواطئ غرب الإسكندرية ،ثم زحفوا على المدينة فاحتلوها، وأسرع إلى القاهرة في موقعة فاصلة قرب الأهرام فتقهقرت جيوش المماليك أمامه، وعندها أعلن نابليون على الملأ منشوره الذي كان الغرض منه توطيد أقدامه في مصر ،بحيث أراد نابليون ألا يدخل مصر غازيا على طريقة الحروب الكلاسيكية فلجأ من أجل تحقيق أهدافه الاستعمارية والتوسعية، إلى أسلوب المودة والمداهنة، فأظهر في أكثر من مناسبة أنه لم يأت إلى مصر إلا لإنقاذها من المماليك وتعريفها بالحضارة الحديثة فكان إدعاء الحملة الفرنسية أنها أتت إلى مصر، بوحي من مبادئ الثورة الفرنسية التي أوصت بمساندة الشعوب المقهورة، والتضامن معها لكن الوقائع والحقائق التاريخية أثبتت خطأ هذه المزاعم وأثبتت أنها حملة استعمارية كسائر الحملات والغزوات العسكرية.[1]

فبغض النظر عما أتت به الحملة الفرنسية على مصر من نفع أو ضرر ،فالبلاد المصرية -بل والبلاد العربية أيضا -استطاعت أن تتعرف إلى نمط حياة جديد في ظل الحملة الفرنسية التي وعلى الرغم من سياستها الاستعمارية ظلت معلما إيجابيا ساهم في يقظة مصر

[1] منذر المعاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية ،دار إقرأ للنشر والتوزيع ، بيروت -لبنان ، 1986م، ص، ص51،54.

حيث تمكنت خطب نابليون ،أن تدغدغ عقول المثقفين من أهل مصر وأن تبعث في روح أبنائها القومية العربية والعزة الوطنية.[1]

فقد فتحت هذه الحملة على مصر أبواب الحضارة الغربية الحديثة بما اشتملت عليه من مبادئ سياسية وأنظمة إدارية وعلوم وآداب وفنون وطباعة وصحافة وغيرها.[2]

ورافق نابليون بونابرت في حملته هذه فريق من العلماء الفرنسيين في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا،ومن العوامل أيضا البعثات العلمية إلى أوربا التي أسهم "محمد على باشا" فيها، حيث كانت هذه البعثات العلمية من العوامل الهامة التي ساهمت في الانفتاح على حضارة الغرب ،وترجمة العديد من المؤلفات العلمية والأدبية والفنية الغربية إلى اللغة العربية، وتدريس العلوم الحديثة في المدارس والمعاهد التي أنشأها "محمد على باشا" وخلفاؤه على النمط الأوربي.[3]

وكان لانتقال الطباعة والصحافة إلى بلاد المشرق العربي وانتشارها على نطاق واسع، بعد النموذج الذي قدمته البعثة العلمية المرافقة للحملة الفرنسية على مصر، أثاره الهامة في نشر التراث الثقافي العربي مما أعاد الثقة إلى نفوس العرب ،ووضعهم وجها لوجه أمام العثمانيين، وفتح أعينهم على واقعهم المرير ،كما عملت على التقريب بينهم فلم يعد العلم حبيسا في مكتبات العلماء أو المساجد وإنما أتيح للجميع بفضل الطباعة ففي الوقت الذي ساهمت فيه الصحف في نشر الثقافة والأفكار الجديدة ،برزت طبقات من المثقفين بالثقافة الحديثة ساهموا بدورهم في دفع حركة التأليف والترجمة والنشر ،وفي تأسيس الجمعيات الأدبية والعلمية.[4]

---

[1] هنري لورنس وآخرون ،الموسوعة السياسية العالمية ،ج23 ،ط1 ،دار الجيل، بيروت–لبنان ،1990م، ص 625.

[2] على المحافظة، المرجع سابق، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص–ص23،24.

[4] جيفري برون :المرجع السابق ،ص –ص 558–559.

عموما كان للجسور التي أقيمت بين أوربا والشرق العربي ،سواء من خلال استقدام المعلمين والفنيين الأوروبيين أو من خلال إرسال البعثات العلمية خاصة في مصر أثناء عهد "محمد على"، أو من خلال حركة الترجمة التي أعقبت تأسيس مدرسة الألسن في مصر بجهود الطهطاوي، كان لهذه الجسور تأثير هام في خلق وعي سياسي وطني جديد مهد للنظر إلى الدولة العثمانية وتخلفها نظرة ناقدة مشككة في قدرتها لقيادة الشعوب العربية من طرف المثقفين الذين تأثروا بالأفكار العلمانية الأوروبية خاصة فيما يتعلق بعلاقة الدين بالدولة مما يمس الأساس الذي ترتكز عليه الدولة العثمانية في علاقتها بالعرب.[1]

فقد أدرك قطاع كبير من العرب المثقفين بالثقافة الأوروبية الحديثة ،أنهم ينتمون إلى كيان مختلف عن الكيان الذي ينتمي إليه غيرهم ،فبدؤوا يكتبون عن الوطن والوطنية، وبرزت فكرة الوطن الذي يرتبط أبناؤه بروابط وحقوق وواجبات مشتركة، مع وجود جذور للفكرة الوطنية ،إلا أنها أعطيت مدلولا سياسيا بالتأثر بالأفكار الجديدة واستجابة لمشاكل داخلية مثل:وضع أهل البلاد العربية في مستوى أدنى من العناصر الخارجية الحاكمة، وطلب المساواة معهم، كما هو الحال اتجاه الأتراك في مصر ،أو لتخطي المشاكل الطائفية كما هو الحال في بلاد الشام.

ولعل أبرز نتائج الحملة الفرنسية على مصر هو المشروع النهضوي الكبير الذي حمله "محمد علي" والذي اعتبر بمثابة أول محاولة لتأسيس إمبراطورية عربية مستقلة عن السلطان العثماني أو بالأحرى فصل الأقطار العربية في الهلال الخصيب والجزيرة العربية عن الدولة العثمانية وضمها إلى مصر مركز ملكه وسلطانه.[2]

فحتى وإن أخفقت هذه المحاولة إلا أنه –محمد علي– حقق وفي عقود قليلة من الزمن ما يثير الدهشة والإعجاب من خلال إصلاحاته المتمثلة في:

---

[1] أحمد زكريا الشلق، الفكر القومي الحركة العربية، مكتبة شذرات الإلكترونية www.shadtharat.net/shouthread، 2016/4/12.

[2] جورج أنطونيوس، المرجع سابق، ص 12.

✓تحديث الجيش المصري في محاولة لعصرنته.

✓الإصلاحات الاقتصادية حيث ألغى "محمد علي" نظام الالتزام في جباية الضرائب وعمل على بناء قاعدة صناعية متطورة وشجع العرب والأوروبيين على المجيء إلى مصر للعمل فيها من خلال العديد من القرارات التي تشجع الهجرة إلى مصر.[1]

✓إصلاح التعليم اهتم "محمد علي" اهتماما جديا بتشجيع التعليم على كافة المستويات، وسارع إلى إرسال عدد من البعثات العلمية إلى جامعات بعض الدول الأوروبية، مثل البعثة العلمية التي أرسلها إلى فرنسا برئاسة الطهطاوي[2]

✓الإصلاحات الاجتماعية :ألغى "محمد علي" كل أشكال التمييز ما بين المصريين وغيرهم وأطلق الحرية لجميع الطوائف في ممارسة شعائرهم الدينية ،وساوى بين السكان في الحقوق والواجبات.[3]

ب-**البعثات التبشيرية الغربية في بلاد الشام:** ويرجع وجود هذه البعثات الأجنبية -الفرنسية والأمريكية -في بلاد الشام إلى مطلع القرن 17م وبالضبط إلى سنة 1625 م ولكن في بداياتها كان مجال جهودها محدودا ،يقتصر على إنشاء القليل من المدارس والمعاهد ونشر كتب العبادات فقد كان من العسير عليها بالحكم تعصب الشديد الذي كان يسود ذلك العصر أن تعمل خارج نطاقها، فانحصرت معظم جهودها في رعاية الطوائف المسيحية.[4]

---

[1] معين زيادة، معالم على طريق تحديد الفكر العربي، سلسلة كتب عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،عدد155، جويلية 1987، ص 136.

(2) جميل بيضون ،وآخرون ،المرجع السابق ،ص 144.

[3] مسعود ظاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية، سلسلة كتب عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، عدد 252، ديسمبر 1999، ص 81-85.

[4] جورج أنطونيوس، المرجع سابق، ص 97.

وبقي الأمر على حاله إلى أن جاء عهد "إبراهيم باشا" الذي أحدثت سياسته في الحكم كثيرا من التغيرات ،حيث تميز عهده بالانفتاح والتسامح مع الطوائف الدينية الأخرى ،ففتح بذلك المجال أمام البعثات التبشيرية الأجنبية ،و فتوافد المبشرون على بيروت من مختلف الطوائف المسيحية الكاثوليك والبروتستانت واليسوعيون ....ومنها انطلقوا إلى جميع أنحاء الشام، وكانت سنة 1834م سنة التحول حيث عرفت تنافسا شديدا بين البعثات الفرنسية –اليسوعيين والكاثوليك– والبعثات الأمريكية –البروتستانت –وفي خضم هذا التنافس تم فتح كلية للذكور في عين طورة في بيروت ،وكذلك نقل مطبعة البعثة التبشيرية الأمريكية من مالطا إلى بيروت، إضافة إلى ذلك تم تأسيس مدرسة للإناث في بيروت ،وكان من نتائج ذلك انتعاش اللغة العربية وانبعاثها فقامت حركة فكرية كانت البداية في إيقاظ الوعي العربي.[1]

والجدير بالذكر أن الإرساليات التبشيرية الغربية التي انتشرت في بلاد الشام أسهمت وبشكل فعال في تقوية النزعة القومية وانتشار الفكر القومي ،ذلك عندما أنشأت العديد من الجمعيات الأدبية والعلمية ،فساهمت بذلك في نشر العلوم وانتشار المطبوعات ،وازدهار اللغة العربية، وكان معظم أعضائها من المسحيين إلا أن هذه الجمعيات استطاعت أن تستقطب أنصارا لها من مختلف العقائد في بلاد الشام، فانتسب إليها الدروز والمسلمين ومختلف الفرق المسيحية كما هو الحال بالنسبة للجمعية العلمية السورية التي ذكرناها سابقا، فوجدت في هذا الخليط رابطة فعالة تعمل على تحقيق أهداف مشتركة وهي العمل على تقدم البلاد على أساس الوحدة الوطنية وأصبح الرابط الذي يؤلفهم هو اعتزازهم بالتراث العربي.[2]

ويمكننا القول أن المدارس التي تم إنشاؤها من قبل البعثات المسيحية ،في بلاد الشام قد أتاحت للدارسين فرص الإطلاع والبحث في تاريخ العرب ولغتهم وآدابهم ،إضافة إلى ذلك أتاحت لهم فرصة الإطلاع على الثقافة الأوروبية الحديثة ،بالرغم أن هناك من يرى عدم

---

(1) جورج أنطونيوس، المرجع السابق ، ص 99–100.

(2) محمد عبد الله عودة ،وإبراهيم ياسين الخطيب ،المرجع السابق ،ص–ص 149 ،150.

المبالغة في أهمية دور هذه البعثات التبشيرية ومدارسها في إيقاظ الوعي القومي العربي من زاوية أن هذه البعثات كانت مهمتها الأصلية تتركز في نشر العقيدة المسيحية ونشر مذاهبها بين المسحيين والعرب، وإنها كانت تنتمي لدولة أوروبية وتتلقى دعمها منها، ولذلك كانت تدعم المكانة السياسية لهذه الدولة، كما كانت أدوات لتحقيق أطماعها السياسية ،ومهما يكن من أمر فالذي لا شك فيه أن هذه المدارس وخريجيها ،لعبت دورا هاما في حركة اليقظة العربية، بما أتاحته من حركة ثقافية وفكرية عربية، فانتقل بها خريجوها من ميدان الأدب والثقافة إلى مجال السياسة ،فوسعوا الخلاف بين العرب والعثمانيين، وكرسوا فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن 19م، فقد لعبت هذه الجمعيات الأدبية والعلمية دورا هاما في نشر الثقافة العربية، وصارت تجمعاتها ملاذا للمهتمين بشؤون الثقافة والفكر.[1]

ثانيا :تأثر رواد الفكر القومي العربي بالفكر القومي الأوروبي

لقد كان الاحتكاك الثقافي والفكري بين الشرق والغرب من العوامل التي أدت إلى بلورة الفكرة القومية العربية ،وقد بدأ ذلك الاحتكاك في المشرق العربي من خلال البعثات التبشيرية في بلاد الشام ،وبشكل أكبر مع قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر ،واستمر هذا الاحتكاك والتفاعل مع أوروبا طوال القرن 19م ،من خلال البعثات التي أرسلها "محمد علي" –والي مصر– إلى أوروبا.

ومن رواد النهضة العربية الأوائل رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي ،فقد أدرك هذين الرجلين أهمية الحرية في المجتمع الحديث ودورها للنهوض به ،حيث وجد رفاعة الطهطاوي

[1] أحمد زكريا الشلق، المرجع سابق.

(1801-1873م) في الفكر الغربي ثروة ضخمة أحس بحاجة أمته إليها فنقلها إلى الفكر الإسلامي والثقافة العربية ،رغبة منه في القضاء على مرحلة الضعف والجمود.[1]

كما طرح الطهطاوي بعد عودته من فرنسا عام 1831م مشروعا إصلاحيا شمل أهم أوجه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية حينها ،فقد كان واحدا من أركان النهضة الفكرية الحديثة في مصر ،أتم ثقافته في فرنسا على يد كبار المستشرقين ،عرب كتبا علمية كثيرة وحرر جريدة الوقائع المصرية ،وتخرج على يده عدد من الأدباء كانوا الطليعة في نهضة مصر الفكرية ،حاول وبنجاح كبير البرهنة على أن مبادئ الثورة الفرنسية لا تتعارض وتعاليم الإسلام ،بل تتفق معها ،مستشهدا بمقتبسات من القرآن والسنة ،وكان أول من تحدث عن القومية المصرية والقومية بشكل عام وبالشكل الذي يتفق وآراء مازيني.[2]

وعاد الطهطاوي معجبا بما شاهده في رحلته إلى باريس التي لخصها في كتابه المشهور "تلخيص الإبريز إلى تلخيص باريز" والذي اشتهر شهرة واسعة ،وطرح في ترجماته وكتاباته عن الوطن والوطنية أفكارا سياسية مهمة ،مهدت الطريق للتخلص من الولاء لسلطان الدولة العثمانية ،الذي كان موضع عصمة عند سائر المسلمين ،فنبهت كتاباته إلى أن الولاء للسلطان ليس قدرا على المسلمين ،وأن غيرهم استطاع التخلص من ظلم حكامهم ،حيث شرح عن آثار الثورة الفرنسية على فرنسا بقوله :"إنها أدت لعزل الملك لخرقه الدستور ومحاولته تعليق الحريات التي ضمنها"[3] ،فأعطى بلغة غير مباشرة إيحاء للمصريين بإمكانية التخلص من السيادة

---

[1] أحمد بن صادق الجمال ،اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر ،ج1 ،ط1 ،دار عالم الكتب ،الرياض – السعودية،1994م، ص44.

[2] جرجيس فتح الله ،نظرات في القومية العربية حتى العام 1970م ،ج1 ،ط1 ،دار آراس للطباعة والنشر ،منشورات الجمل، العراق ،2012م ،ص557.

[3] عبد العزيز أمين موسى عرعار :تأثير العرب الدارسين في فرنسا في نشأة الفكر السياسي العربي الحديث ،مؤتمر دور الترجمة في حوار الحضارات ،شبكة البصرة

،http://www.albasrah.net/ar_articles_2013/1013/3rar2_051013.htm

العثمانية ...وقد تأثر كتاب بلاد الشام بهذا التيار وأثروه ،وظهر ذلك في كتابات "بطرس البستاني" الذي رغم تمسكه بالشرعية العثمانية إلا أنه نادى بفكرة وطن سوري في نطاق الدولة العثمانية ،كما كتب "أحمد فارس الشدياق" عن الوطنية ،وتبرأ من استعلاء الترك على العرب.

وحاول "خير الدين التونسي" أن يجمل مواقفه من موضوع التجديد والإصلاح في كتابه الشهير "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" ،حيث أدرك خير الدين بصفته ضابطا سابقا في الجيش التونسي أن سر تفوق الدول الأوروبية كامن في قوتها الاقتصادية والعسكرية ،وأن هذه القوة عائدة إلى عوامل مادية تتمثل في التعليم والمؤسسات القائمة على العدل والحرية.[1]

ولهذا فهو يدعو إلى الأخذ من الحضارة الأوروبية فيما لا يتعارض مع أصول الشريعة الإسلامية ،التي يجب أن تواكب المصالح المتجددة للمسلمين ،فهو يدعو للاختلاط بالأوروبيين والتعلم منهم في قوله :"لا يتهيأ لنا أن نميز ما يليق بنا إلا بمعرفة أحوال من ليس منا حزينا ،فالدنيا بصورة بلدة متحدة ،تسكنها أمم متعددة حاجة بعضهم لبعض متأكدة "،ويمكن القول أن القضية الأساسية التي شغلت "خير الدين التونسي" كانت تدور حول هذا السؤال :كيف يمكن للمسلمين أن يصبحوا جزء من العالم الحديث دون أن يتخلوا عن دينهم ؟.[2]

واستمر هذا التواصل بين العالم العربي وأوروبا حيث ساهم هذا الاحتكاك إلى جانب العوامل والظروف التي كانت تعيشها الأقطار العربية في بلورة الفكرة القومية العربية.[3] التي أصبحت لها نظرياتها وفلسفتها الخاصة ،ومن بين الذين حاولوا تأكيد فكرة القومية العربية عبد الغني العريسي (1850-1917م) ،فقد أكد على اهمية الرابطة القومية بين العرب ،واعتبر أن اللغة العربية قاعدة هذه القومية ،ورأى بأن حياة العرب بحياة لغتهم ،ويقول في هذا الشأن :"وإذا ماتت اللغة فالسلام على هذه الأمة" ،فعبد الغني العريسي درس في باريس واطلع على الفكر

---

(1) علي المحافظة :المرجع السابق ،ص100.

(2) ألبرت حوراني : المرجع السابق ،ص121.

(3) محمد حسن العيدوس ،المرجع السابق ،ص272.

الغربي مباشرة ،وأخذ المبادئ القومية عن أوربا ،ويتضح اطلاعه على الفكر الغربي في كلمته التي ألقاها في المؤتمر العربي الأول في باريس سنة 1913م ،إذ قال :"إن الجماعات في نظر علماء السياسة ،لا تستحق هذا الحق إلا إذا جمعت على رأي علماء الألمان وحدة اللغة ووحدة العنصر ،وعلى رأي علماء الطليان وحدة التاريخ ووحدة العادات ،وعلى مذهب الساسة الفرنسيين ،وحدة العادات ووحدة المطمح السياسي ،فحق العرب بعد هذا البيان أن يكونوا على رأي علماء السياسة دون استثناء ،حق جماعة ،حق شعب ،حق أمة" ،وأول حق لجماعة الشعوب حق القومية.[1]

ولعل أول من حاول وضع نظرية للقومية العربية ودعا إلى وحدة عربية شاملة كان أبو خلدون ساطع الحصري (1879-1968م) وهو عربي من حلب ولد باليمن ،وتلقى علومه في اسطنبول ،وعاد إلى الوطن العربي في سن النضوج وهو يحمل ثقافة علمية عميقة فأسهم بقسط ملحوظ في تطوير الثقافة والتربية والتعليم في سوريا والعراق ومصر ،وأصبح من رجال النهضة العربية الحديثة ،كانت حياته غنية بالتجارب والإنتاج فهو الباحث في اللغة والأدب ،والمؤرخ وعالم الاجتماع والتربية والمفكر القومي ،وهو الإداري والموظف ،لم يول عملا إلا بعث فيه الحياة والتجديد ،ونذر حياته في سبيل قضية واحدة هي الدفاع عن الفكرة القومية العربية. [2]

لقد أخذ "الحصري" بنظرية المشيئة والإرادة في تكوين الدولة القومية حين كان قوميا عثمانيا ،إلا أن سياسة الاتحاد و الترقي ،وانهيار الدولة العثمانية ،ومشاهدته للحركة القومية في البلقان عن كثب جعله يتجه نحو فكرة القومية العربية ،وهذا راجع لنشأته فقد درس في المدارس الحديثة وعمل في التعليم والإدارة في البلقان ،كما عمل في التعليم في اسطنبول ،هذه الأحداث غيرت من ساطع الحصري وجعلته يتجه نحو القومية العربية وتحديد مقوماتها .فجعل اللغة

---

[1] عبد العزيز الدويري ،ساطع الحصري في الفكر القومي ،ساطع الحصري ثلاثون عاما على الرحيل ،مركز دراسات الوحدة العربية ،1998م،ص –ص 309-310.

[2] خيرية قاسمية ،حياة ساطع الحصري ثلاثون عاما على الرحيل ،مركز دراسات الوحدة العربية ،1998م، ص23.

العربية أولا والتاريخ ثانيا ’مع إشارته إلى مؤثرات أخرى إلا أنه اعتبرها جانبية أو محدودة الأثر.[1]

درس الحصري الحركات القومية في أوربا ،كما درس الفكر القومي الأوربي في القرن التاسع عشر وبخاصة لدى الفرنسيين والألمان والإيطاليين وهو كثيرا ما يستشهد لتوضيح آرائه أو تأييدها بأمثلة من التاريخ الأوربي كما أخذ الأوضاع العربية في الاعتبار ولعله وجد في فكر الألمان وظروفهم ما هو أكثر إفادة لحاجات العرب.[2]

فقد تأثر الحصري بفلسفات "هيغل" و"هردر" و"فيخته" وغيرهم ،وكان في مقدمتها الفلسفة المثالية المأخوذة عن هيغل وكان منها أيضا تأكيد الفكر القومي الألماني على تكريس اللغة بوصفها العامل الأساسي في تكوين واستمرار الجماعة القومية وفي هذا يقول "هردر" :"إن قلب الشعب إنما ينبض في لغة الشعب ،وروح الشعب تكمن في لغة أسلافه ،وهي الوعاء الذي استودعه الشعب ،كل ما أنجزه من نفائس الفكر وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد".[3]

فقد لاحظ "الحصري" أن الأمم تتميز عن بعضها باللغة وأن أول من نبه لذلك الألمان ،حيث قال في هذا الصدد :"الأمة كائن اجتماعي حي لها حياة وشعور وأن حياتها في اللغة وشعورها بالتاريخ".[4]

لكنه رفض فكرة التفوق العنصري لدى المفكرين الألمان ،واكتفى بالاعتزاز بالحضارة العربية .

---

[1] عبد العزيز الدويري ،المرجع السابق ،ص307.

[2] المرجع نفسه ،ص311.

[3] المرجع نفسه ،ص163.

[4] ساطع الحصري ،حول القومية العربية ،ص43 http://arab-unity.net/formis/index.php

كانت هذه رؤية ساطع الحصري للقومية العربية ،فهو الذي نذر حياته للدفاع عنها ،فكان منظرا لها بامتياز،إذ أنه أسس لنقاش فكري حقيقي قاد بنا إلى فهم الفكرة القومية العربية وإدراك مميزاتها عن باقي القوميات التي نشأت قبلها .

ثالثا : نتائج تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي

✓إحياء اللغة العربية وآدابها القديمة وبعث ذلك المجد الكبير من التراث العربي الفكري ،وتم ذلك كله على يد المدارس والمعاهد التي تأسست من طرف البعثات التبشيرية في بلاد المشرق العربي ،ذلك أن التعليم في كافة هذه المدارس والمعاهد كان يجري باللغة العربية ،وفي ذلك نذكر الدور الكبير الذي قام به "ناصف اليازجي" و"بطرس البستاني" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في إحياء الدراسات العربية ،حيث أن "البستاني" حارب وبشدة التعصب الديني الذي استغل أيام مذابح لبنان ،فأنشأ المدرسة الوطنية التي اتجه نشاطها إلى تخريج جيل وطني يعتز بعروبته وأصدر "جريدة الجنان" وكان شعارها "الوطنية من الإيمان كما أنشأت العديد من الجمعيات الأدبية والعلمية.[1]

✓تأثر النخب العربية بالفكر القومي الأوروبي من خلال الاحتكاك المباشر بالقوميات الأوروبية سواء من خلال البعثات العلمية أو من خلال الزيارات التي قام بها هؤلاء إلى أوروبا فأخذوا عنهم بالأفكار والنظريات وتأثروا بالنماذج القومية الأوروبية المختلفة ،وحاولوا وضع نظريات خاصة بالقومية العربية ،تتناسب وخصوصية عالمنا العربي ،وفي هذا الشأن يقول ساطع الحصري :"إن الاستفادة من تجارب الأمم التي سبقتنا في ميدان التحرر والنهوض مبدأ سليم ولكن هذه الاستفادة تستلزم درس التجارب درسا دقيقا يشمل جميع الظروف المحيطة بالتجربة".[2]

---

[1] –شوقي عطا الله الجمل ،عبد الله الرزاق إبراهيم ،المرجع السابق ،ص–ص126،127.

[2] – ساطع الحصري ،حول القومية العربية ،المرجع السابق ،ص33

✓تأثر رواد الفكر العربي بالفلسفات القومية الأوروبية : ومن ذلك الفكر الألماني الذي يعلي من شأن الرابطة اللغوية ورابطة القربي والدم على حساب رابطة الدين ،وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين ،فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعادا تاما عن الروابط التي تقوم عليها الأمة بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها ،ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين ،فهم يدعون إلى ضرورة تحرير العرب من الروابط الدينية باعتبار أن الأديان وطوائفها المختلفة وكذا الأقليات ... عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة .وانتقل هذا التفكير إلى بعض الحكام العرب ،وهذا ما نلمسه من خلال خطاب الأمير فيصل الذي جاء فيه:" نحن جسم واحد ...لا أديان ولا مذاهب ،فنحن قبل موسى و محمد وعيسى وإبراهيم ..."[1]

كما تبنى هؤلاء عدة شعارات من بينها "الدين لله والوطن للجميع".

هبوني عيدا يجعل العرب أمة ***وسيروا بجثماني على دين برهم

سلام على كـــفر يوحد بيننا *** وأهلا وسهـــــــلا بعده بجهنم.

فتوزعت هذه الحركة الفكرية الجديدة بين مؤيدين ومعارضين ،فالمؤيدون رأوا فيها نهضة بالأمة العربية ،وفرصة لتقوية الانتماء العربي ،وعاملا مهما من عوامل سد ثغرات التفرق والشتات ،وانصهار الجنس الواحد داخل إيديولوجية فكرية موحدة ،تتصدر صنع القرارات وتوجه مسار الأمة ،كما أن هذه الحركة تهدف إلى استقلال الوطن العربي استقلالا تاما.[2]

أما المعارضون فقد رأوا أن هذه القومية تأتي على حساب رابطة الدين ،كما رأوا أن هذه الحركة وما ينطوي تحتها من تعاليم وشخصيات بارزة تروج للفكر الأوروبي العلماني ،على حساب الفكر الإسلامي ،وأنها تعد شكلا من أشكال الغزو الثقافي الغربي ،ومن أصحاب التيار الفكري المناوي لها أمثال "أبي الأعلى المودودي" في مؤلفه" بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية " والشيخ "عبد العزيز ابن باز" في مؤلفه "نقد القومية العربية"[3] حيث يصفها الشيخ

---

[1] – عبد العزيز الدويري: المرجع السابق ،ص310.

[2]- الموسوعة العربية العالمية ،ج 23 ،المرجع السابق ،ص 428.

[3] – نفسه،ص429.

"ابن باز" بأنها :"دعوة جاهلية الحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه " حيث يقول عنها "وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول ... فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام واعتز بها كثير من الأعمار ومن قلدهم من الجهال ،وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان :" ويقول أيضا :"هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله".

الخاتمة

الخاتمة

كل ما يمكن أن نستقيه من هذا المخاض العسير الذي عرفته القومية العربية حتى تظهر للوجود هو أنها كانت حركة تحررية مطالبة بالحريات العامة والسياسية مدافعة عن الهوية الحضارية للإنسان العربي المتمسك بلغته والرافض للوصاية الأجنبية حتى ولو جاءت باسم نفس الدين ،فقد مال العرب إلى عروبتهم حين استبد الأتراك بالخلافة العثمانية ،وحاولوا تتريك العرب ونزع الأتراك إلى قوميتهم متأثرين بدورهم بالقوميات التي ظهرت في أوروبا آنذاك وبدؤوا بالتخلي عن الأقطار العربية ،خاصة بالنسبة لبلاد المغرب العربي حيث غضت الخلافة الطرف عن الاحتلال الإيطالي لليبيا وبطشت بالعرب متخلية بذلك عن رابطة الخلافة .

فكانت العوامل الداخلية سببا أساسيا قابلا لتلقي التأثيرات الحضارية الأوروبية التي وفدت إلى عالمنا العربي عن طريق البعثات التبشيرية في بلاد الشام ،وكذلك عن طريق حملة نابليون على مصر .إضافة إلى البعثات العلمية التي أرسلها "محمد علي" والي مصر وابنه إبراهيم باشا أيام الحكم المصري لبلاد الشام....فساهمت هذه المؤثرات الغربية في بعث وعي وطني وحركة أدبية ساهمت في بعث اللغة العربية ،وإحياء التراث العربي ،هذه الحركة التي تحولت وبفعل الظروف التي كان يعيشها العالم العربي آنذاك إلى حركة سياسية تدرجت في مطالبها من المناداة باللامركزية في الحكم ،إلى المطالبة بالاستقلال التام عن سلطة الخلافة العثمانية والمناداة بإقامة دولة عربية موحدة.

وهكذا فإن الأسباب التي كانت وراء ميلاد القومية العربية منطقية جدا ،نتجت عن واقع الظلم والاستبداد الذي فرضه الأتراك على العرب ،ولم تكن مجرد محاكاة نظرية للأفكار القومية التي ظهرت في أوروبا ،كما زعم عدد من منتقدي القومية العربية.

حيث أن القومية العربية اتخذت لها أسسا وقواعد تراعي طبيعتها الحضارية لتثبت العوامل المشتركة التي تجعل من العرب قادرين على تكوين قوميتهم الموحدة لهم.

الملاحق

الملحق رقم (01):خريطة تبين توحيد الإمارات الإيطالية

المصدر :عمر عبد العزيز عمر :تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815–1919 ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة –مصر ،2000م ،ص301.

الملحق رقم(02):خريطة تبين توحيد الإمارات الألمانية

المصدر: عمر عبد العزيز :المرجع السابق ،ص301.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

1.أنطونيوس جورج ، يقظة العرب،(تاريخ حركة العرب القومية)،دار العلم للملايين، لبنان، ط 8، 1987.

2.برون جفري ،تاريخ أوربا الحديث ،ط1 ،ترجمة :علي المرزوقي،دار الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان- الأردن،2006م.

3.الجمل شوقي عطا الله ، وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ،تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،مصر ،2007.

4.حاطوم نور الدين ،تاريخ الحركات القومية .ج1 ،ط2 .دار الفكر 1979م.

5.حوراني ألبرت:الفكر العربي في عصر النهضة ،تر:كريم عزقول ،ط4 ،دار النهار للنشر بيروت –لبنان.

6.الدويري عبد العزيز ،ساطع الحصري في الفكر القومي ،ساطع الحصري ثلاثون عاما على الرحيل ،مركز دراسات الوحدة العربية ،1998م.

7.زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية: مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط4، دار النهار للنشر بيروت –لبنان، 1986م.

8.ساطع الحصري ،حول القومية العربية ، http://arab-unity.net/formis/index.php

9.شيشكلي محسن:دراسات في المجتمع العربي ،ج2 ،جامعة حلب-سوريا ، 1965م.

ب- المراجع

1.بشارة عزمي،في المسألة العربية (مقدمة لبيان ديمقراطي عربي)،ط2،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت-لبنان، .2010م .

2.بيضون جميل وآخرون ،تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع،إربد – الأردن ،1991م.

3.الجمال ،أحمد بن صادق ،اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر ،ج1 ،ط1 ،دار عالم الكتب ،الرياض –السعودية،1994م.

4.جمال قنان ،مفهوم القومية في الفكر الأوربي في القرن 19 ،مجلة المبرز ،المدرسة العليا للأساتذة الآداب والعلوم الإنسانية ،الجزائر .العدد4،ديسمبر 1994م.
5.الحصري ساطع،ما هي القومية ؟،ط2،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت–لبنان ، 1985م.
6.رمضان عبد العظيم ،تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة ،ج2.الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة –مصر.
7.زيادة معين ، معالم على طريق تحديد الفكر العربي، سلسلة كتب عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،عدد155، جويلية 1987.
8.الشويري يوسف ، في الثقافة العربية في القرن العشرين (حصيلة أولية)، إشراف وتحرير عبد الإله بلقزيز، ط 1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان ،2011م.
9.ظاهر مسعود ، النهضة العربية والنهضة اليابانية، سلسلة كتب عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، عدد 252، ديسمبر 1999.
10. العلايلي عبد الله ،دستور العرب القومي ،ط2 ،دار الكتاب الجديد ،بيروت – لبنان ،1996م.
11. عمر عبد العزيز عمر :تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815–1919 ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة –مصر ،2000م.
12. عوده ،محمد عبد الله، وإبراهيم ياسين الخطيب،تاريخ العرب الحديث ،الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان،1979م.
13. العيدروس ،محمد حسن ،تاريخ العرب الحديث ،ط1 ،دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع ،الكويت ،1998م .
14. الغزالي محمد ،حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي ،ط3 ،شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،مصر.
15. غلنر أرنست :الأمم والقومية ، ترجمة :مجيد الراضي،ط1 ،دار المدى ،دمشق–سوريا ،1990م.

16. فتح الله جرجيس ،نظرات في القومية العربية حتى العام 1970م ،ج1 ،ط1 ،دار آراس للطباعة والنشر ،منشورات الجمل، العراق ،2012م.

17. قاسمية خيرية ،حياة ساطع الحصري ثلاثون عاما على الرحيل ،مركز دراسات الوحدة العربية ،1998م.

18. القومية العربية والإسلام، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الوحدة العربية، بيروت– لبنان،ط3 ، 1988م.

19. المحافظة علي ،الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798–1939م) ،دار الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت –لبنان،1987م .

20. مراد ،علي عباس ،و فياض ،عامر حسن:الظاهرة القومية (مدخل إلى الفكر القومي العربي) ،ط1 ،منشورات جامعة قار يونس ،بنغازي– ليبيا،1998م.

21. المعاليقي منذر ، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية ،دار إقرأ للنشر والتوزيع ، بيروت –لبنان ، 1986م.

22. معوض أحمد ،نازلي ، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي ،ط1 ،مركز دراسات الوحدة العربية،سلسلة الثقافة القومية6، بيروت– لبنان ،1976.

23. نوار ،عبد العزيز سليمان ، جمال الدين ،محمود محمد:التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر العربي ،القاهرة –مصر ،1999م .

24. الهندي هاني :الحركة القومية العربية في القرن العشرين (دراسة سياسية) ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت –لبنان،2012 م.

ج- الموسوعات

1.لالاند اندريه ،موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة وتعريب أحمد خليل،ط2 ،منشورات عويدات ،بيروت–لبنان ،2001م.

2.لورنس هنري وآخرون ،الموسوعة السياسية العالمية ،ج23 ،ط1 ،دار الجيل، بيروت–لبنان ،1990م.

3.الموسوعة العربية العالمية ،حرف القاف،ج18 ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ،المملكة العربية السعودية ،1999م.

د- المواقع:

1.أحمد زكريا الشلق ، الفكر القومي الحركة العربية، مكتبة شذرات الإلكترونية
www.shadtharat.net/shouthread، 2016/4/12.

2.عبد العزيز أمين موسى عرعار :تأثير العرب الدارسين في فرنسا في نشأة الفكر السياسي العربي الحديث ،مؤتمر دور الترجمة في حوار الحضارات ،شبكة البصرة
http://www.albasrah.net/ar_articles_2013/1013/3rar2_051013.htm

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
مقدمة.....	أ
الفصل الأول :ميلاد الفكر القومي الأوروبي	
أولا : مفهوم القومية	7
ثانيا :ميلاد القوميات الأوروبية.....	12
الفصل الثاني :ميلاد القومية العربية	
أولاً: نشأة القومية العربية.....	20
ثانيا :مراحل تطور القومية العربية 1908-1914م.....	30
الفصل الثالث :تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي	
أولا :انتقال المؤثرات الغربية إلى العالم العربي.....	36
ثانيا :تأثر رواد الفكر القومي العربي بالفكر القومي الأوروبي.....	41
ثالثا :نتائج تأثير الفكر القومي الأوروبي على العالم العربي	46
خاتمة.....	50
الملاحق.....	52
قائمة المصادر والمراجع.....	55
قائمة المحتويات.....	60